الإسلام

" لا يُعلم بلدٌ في أقطار الأرض أثنى الله تعالى عليه في القرآن العظيم بالمقام الكريم غير مصر"

الكندي

" ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة"

عمرو بن العاص

" البركة عشر بركات : ففي مصر تسع، وفي الأمصار بركة واحدة، ولا تزال بمصر بركة مادام في شتى من الأرضين بركة "

عبد الله بن عمرو

obeikandi.com

obeikandl.com

هل كان المصريون (القدامى) مؤمنين ؟
أم كانوا بعيدين كل البعد عن جوهر الدين الحنيف ؟
هل كان المصريون مسلمين ؟

أم كانوا على نقيضٍ تام وعناد جاهل وجفاء دائم مع أسس وتعاليم ومفاهيم الإسلام ؟

.. هل كان المصريون كافرين ؟

أم أن هناك ثمة صلة ما بين ما آمن به المصري (القديم) وبين ما نحن عليه اليوم ؟.. وهل هناك وثائق تشير إلى هذه الصلة ؟

إنني – في هذا الفصل من الكتاب – لا أزعم امتلاك يقين ما للرد على هذه التساؤلات رداً شافياً، وإن كنت أقر برغبة جامحة تمتلكني بطرح هذه التساؤلات، والسباحة معها فوق ظهر موج لا أدري إن كان سيصل بي يوماً ما إلى برٍ ما. وبالرغم من ذلك، فإن الأمل يحدوني أن تصنع تساؤلاتنا هذه ثغرة في جدار عازل، ليتسلل منه شعاع نور يضيء بعض جوانب دين حضارتنا المصرية، ليكشف شيئاً من جذورها الضاربة في أعماق أرضنا ونفوسنا، ومازلت لا أفهم سر هذه النشوة التي تغمرني حين أقرأ وأسمع آيات القرآن الكريم تذكر مصر بالخير، فترتفع ببلادنا إلى مكانة فريدة.

لقد أعطت اللغة العربية بلدنا اسم "مصر"، أو أنها أخذته علماً ومفهوماً لمعنى "البلد"، أي الحضارة والمدنية.

أما القرآن الكريم فيجعل من مصر الأرض نفسها. وفي سورة القصص : " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض".

وكذلك في سورة الأعراف : " عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض".

ولم تكن مصر هي الأرض فقط، بل هي الأرض التي باركها الله : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) [سورة الأعراف].

ومصر، الأرض، المباركة.. فيها : " جنات وعيون وكنوزٍ ومقامٍ كريم" [سورة الشعراء]، وهي كذلك أيضاً : " جنات وعيون و زروع ومقامٍ كريم ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين" [سورة الدخان].

فإذا كان ذلك حال مصر في القرآن ؛ فهل ندهش بعد ذلك أن نقرأ في التراث الإسلامي قول (سعيد بن أبي هلال) : " اسم مصر في الكتب السالفة "أم البلاد". "

أو قول (أبو بصرةالغفاري) : " مصر خزائن الأرض كلها "، وقوله كذلك : " مصر سلطان الأرض كلها".

أما (عبد الله بن عمرو) فيروي : " لما خلق الله عز وجل (آدم) عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها، وسهلها وجبالها، وأنهارها وبحارها، وبناءها وخرابها، ومن يسكنها من الأمم، ومن يملكها من الملوك. فلما رأى مصر رآها أرضاً سهلة، ذات نهرٍ جارٍ، مادته من الجنة، تنحدر فيه البركة، وتمزجه الرحمة، ورأى جبلاً من جبالها مكسواً نوراً، لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة، في سفحه أشجار مثمرة، فروعها في الجنة، تسقى بماء الرحمة، فدعا (آدم) في النيل بالبركة، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات، وقال : يا أيها الجبل المرحوم، سفحك جنة، وتربتك مسك، يدفن فيها غراس الجنة، أرض حافظة مطيعة، لا خلتك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ، ولا زال منك ملك وعز، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز، ولك البر والثروة، سال نهرك عسلاً، وزكى نباتك، وعظمت بركتك وخصبت.. ".

ويورد (ابن زولاق) كذلك حديثاً لـ(ابن عباس)، يروي فيه أن (نوحاً) عليه السلام قد دعا لمصر.

أما أحاديث نبي الإسلام (محمد) [صلى الله عليه وسلم] عن مصر وأهلها فعديدة وشهيرة.

ويستمر ذكر مصر وفضلها على مر عصور التاريخ الإسلامي.

فمن القرن الثامن الهجري [الرابع عشر الميلادي]، وصلنا ما قاله (ابن خلدون) في وصف عاصمة مصر : " فرأيت حاضرة الدنيا، وبستان العالم، و محشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك، تلوح القصور

والأواوين في جوه، وتزهو الخوانق والمدارس والكواكب بإفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه..".

أما (ابن بطوطة) فيصف " مصر المحروسة"، فيقول : " هي أم البلاد وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، البلاد الأريضة، المتناهية في كثرة العمارة، المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجادٍ وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف و مشروف، ومنكر ومعروف، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وإمكانها، شبابها يجد على طول العهد، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد، قهرت قاهرتها الأمم، وتمكنت ملوكها نواص العرب والعجم ".

قصة الخلق

أجملت التوراة بداية عملية الخلق فذكرت في عبارة واحدة في أول سفر التكوين أنه " في البدء خلق السموات والأرض "[١].

وعن نفس المسألة يقول القرآن : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سمواتٍ في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) [٢].

فإذا عدنا للتوراة.. لتتبع تفاصيل عملية الخلق، نوجدناها تلحق العبارة المذكورة سابقاً بالعبارة التالية : " وكانت الأرض خربة وخالية وروح لله يرف على وجه المياه"[٣].

وكان الماء هو أصل الحياة، كما يقول الله عز وجل : (.. وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي أفلا يؤمنون) [٤].

وفي حديث أورده (الترمذي) عن رواية لـ(أبي هريرة) قال : يا رسول الله (ص) مم خلق الخلق ؟ قال : " من الماء".

أما الدين المصري ؛ فقد شمل على عدة روايات لخلق الكون قدمت كل منها رؤية خاصة لنشأة الكون. وقد ظلت هذه الرؤى مقبولة لدى المصريين، رغم تباينها، وقد وقفت خلف هذه الرؤى مدارس دينية عظيمة في (منف) و(عين شمس) و(الأشمونين) وغيرها.

يقول سير (والاس بدج) : " والمصريون – في الزمن الأول على الأقل – اعتقدوا في وجود تجمع مائي عميق، بدون حدود، انبثقت منه السماء والأرض وكل ما هو حي، وأن البذور الأساسية لكل شكل أو نوع من أنواع الحياة قد وجدت منذ البدء في هذا التجمع"[٥].

وطبقاً لنظرية خلق الكون في مدينة (الأشمونين) ؛ نجد أن المصريين قد آمنوا بأن الماء الأولي "المياه الأزلية" هي " المبدأ الأولي" أو " الأصل الأول"[٦].

ويؤكد (هرودوت) علي فكرة الخلق المصرية فيقول : " فكرة رسخت في أذهانهم [أي المصريين] وهي أن الأرض وما عليها من الكائنات الحية قد خرجت من جوف الماء"[٧].

وقد اشتملت هذه الماء الأزلية على بذور أو عناصر كانت أساساً للحياة، وكانت هذه العناصر عبارة عن أربعة أزواج، كل زوج منها ذكر وأنثى. وإلى هذا الثامون، "عناصر الحياة الثمانية"، ترجع تسمية مدينة (الأشمونين) "خمون"، أي ثامون، والتي كان معبودها الرب " تحوت".

وقد أطلق المصريون على هذه "المياه الأولى" اسم "نون"، فهل هناك علاقة بين " نون" المصرية و "نون" المذكورة في القرآن ؟ أي في تلك الآية الكريمة : (ن والقلم وما يسطرون) [٨] .

روى (ابن عباس) أنه قال : " أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال : أي وربي ما أكتب ؟ قال : القدر، قال : فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم خلق النون. ثم بسط الأرض عليها، فاضطربت النون، فمادت الأرض. فخلق الجبال فأثبتها بها. ثم قرأ ابن عباس : (ن والقلم وما يسطرون)[٩].

كانت " نون" إذن أول ما خلق الله بعد القلم، حسب ما ذهب إليه (ابن عباس)، وكانت النون علماً على الماء الأولي في العقيدة المصرية، فهل في هذه العقيدة أيضاً علاقة بين القلم والماء، الذي خُلق منه كل شيء حي.

الإجابة على هذا السؤال نجدها عند " تحوت" رب الكتابة المصري، الذي صورته الحضارة المصرية ممسكاً بالقلم، وهو رب مدينة (الأشمونين)، حيث ظهرت نظرية الخلق من الماء الأزلية نون.

وقد آمن كهنة مدينة (أون) أيضاً بأن "نون" هي الأصل أو المبدأ الأول، وقالوا بأن الماء انحسر عن تل "هرم" تجلى فوقه الإله، الذي خلق كل شيء. وكان هذا هو "رع" أقدم الآلهة المصرية[١٠]، وقد رُمز إليه بقرص الشمس، وتحديداً شمس الظهيرة، وكانت (أون) - التي أسماها الإغريق (هليوبوليس) - أعظم المراكز الدينية المصرية، ومكانها الآن حي (المطرية) بمدينة (القاهرة).

وقد ظهرت عقيدة "رع" في زمن موغل من القدم، وازدهرت عبادته في عصر الأسرات[١١]. وفي نفس المنطقة كان هناك أيضاً معبود قديم عُرف باسم "أتم"، اعتبره البعض أصلاً للجنس البشري، لما لاسمه من تشابه مع اسم (آدم) عليه السلام. وكان أن قام كهنة (أون) بدمج هذا الإله "أتم" مع "رع"، و"أتم" يعني في اللغة المصرية القديمة المطلق أو الكامل، أي التام، فقد ظهر للوجود تاماً أو كاملاً، وهو لم يولد من شيء، بل كان خالقاً لنفسه بنفسه، وهو أيضاً الأزلي والأوحد[١٢].

يقول (بدج) : " وتم "أتم" في الحقيقة يمثل بداية مرحلة من الفكر الديني لدي المصريين، ونهاية أخري، فهو أول إعلان عن الإله الذي له هيئة بشرية، وتصوره يمثل علامة واضحة على انتهاء الزمن الذي كانوا يتصورون فيه آلهتهم علي هيئة حيوانية، وبداية العصر الذي طوروا فيه فكرة الإله العظيم العصي على الفهم، غير المعروف، صانع وخالق الوجود "[١٣].

وقد خلق الإله المصري الكون من ذاته، فبدأ بـ "شو"، الذي يمكن أن يكون بالعربية "جو"، وهو الهواء، نَفَس الحياة لكل كائن، وهو أيضاً النور الذي أضاء الكون. وخلق الله "تفنت" أختاً له وزوجة، فجاء من هذين : السماء

"نوت"، والأرض "جب"، وأنجب الأخيران "أوزيريس" و"إيزيس" و"ست" و"نفتيس"، وهؤلاء الأربعة كانوا الأرباب البشرية.

هكذا اكتملت عناصر الكون، وتم خلقها وفق نظام منهجي، تولد فيها كل عنصر من الأخر بشكل منطقي معقول[١٤]. وهي أيضاً عناصر ثمانية، أو أربعة أزواج، من ذكر وأنثى، وضع على رأسها الإله الخالق "رع" – "أتم"، فعرفت نظرية الخلق هذه باسم التاسوع.

خلق السموات والأرض

ولنمضي مع التوراة خطوة أخرى في تفاصيل خلق الكون، فبعد ما ذكرت التوراة أن الأرض كانت خربة وروح الله يرف على وجه الماء، تستطرد فتقول : "وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأي الله النور أنه حسن. وفصل بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلاً، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً. وقال الله ليكن جلد وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً. ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبرز برزاً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً"[١٥].

وفي سياق خلق السموات والأرض أيضاً يقول الله عز وجل في كتابه الكريم : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم)[١٦].

أما النص المصري [القديم] فيقول : " أنت رب السماء ورب الأرض، خالق كائنات السماء والكائنات علي الأرض، أنت الإله الأوحد الذي خلق لأول مرة،

الذي أنشأ البلاد، الذي أوجد "نون" وخلق النيل، الذي أوجد الماء وأحيا كل ما يعيش بها، الذي شيد الجبال وخلق البشر والأنعام "[١٧].

هكذا إذن فصل الله – في التوراة – بين المياه ليخلق سماءً، ويخبرنا القرآن بأن الأرض والسماء كانتا ملتحمتين ففصل الله بينهما، فقد جاء في سورة الأنبياء : (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..)[١٨].

وهو ما جاء أيضاً في أسطورة الخلق المصرية، إذ أن الله قام بفصل السماء "نوت" عن الأرض "جب" بأن جعل بينهما الجو "شو"[١٩].

وتحتفظ المراجع المصرية بصور رب الجو "شو"، وهو يرفع السماء ماسكاً إياها بيديه. أما القرآن فيقول : (والسماء رفعها..)[٢٠]. ويقول أيضاً : (.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه..) [٢١].

أما نصوص الأهرام فتذكر أن عمود "أوزيريس"، المعروف بـ"جد" هو الذي يحمل السماء[٢٢].

وبالإضافة إلى ذلك ؛ افترض المصريون أن السماء تقوم علي أربعة جبال، أو أن هناك أربعة أعمدة تحملها. وقد تصور المصري [القديم] وجود تجمع مائي تحت قبة السماء، أو بحر يجري تحت بطن الرب "نوت". ويبدو أن المصري قد تأثر في هذا بطبيعة بلاده، فظن أيضاً أن الأجرام السماوية تسبح في هذا البحر السماوي مستخدمة الفلك، أي السفن، كما كان هو نفسه يفعل في تنقله عبر نهر النيل.

أما عن خلق الأرض فقد قال المصريون بأن الله قد أخرج الأرض من الماء الأزلية "نون"[٢٣]. وتذكر أسطورة مصرية أخرى أن الأرض انبعثت من زهرة اللوتس، التي خرجت من الماء الأولي[٢٤]. كما تخيل المصري رب الأرض "جب" على شكل رجل راقد، بينما النبات يخرج من ظهره[٢٥].

وعن صورة الأرض المصرية، يقول (أدولف إرمان) : "أما الأرض فقد صورها المصريون وقد أحاط بها محيط كبير "الدائرة الكبرى"، وقد انقسمت الأرض إلى قسمين : أحدهما جدب "الأرض الحمراء"، حيث يسكن البرابرة

المتوحشون، الذين يعيشون على الأمطار، أما القسم الثاني فهو الأرض السوداء. وفي الواقع لم يتخيل المصري أن هناك أرضاً سوداء غير أرضه، حيث تسكن الآلهة، التي وهبها الله نيلها الفياض الذي يجلب الخير للناس "[٢٦].

النجوم

كانت السماء "نوت" بمثابة الأم للأجرام السماوية، فهي التي تلدها كل يوم، ثم تعود لتبتلعها، لتلدها في اليوم التالي مرة أخرى. وقد تخيل المصري وجود بحر تحت قبة السماء لتسبح فيه الأجرام.

وكان المصريون "القدامى" قد قسموا النجوم إلى مجموعتين مختلفتين، فقد رأوا في صفحة السماء مجموعة "النجم القطبي" ظاهرة على نحو دائم، لا تعرف أفولاً، فوضعوها تحت اسم النجوم "التي لا تغرب"، ثم وضعوا المجموعة الأخرى تحت اسم النجوم "التي لا تعيا أو التي لا تكل أبداً".

وفي سورة التكوير يقول الله عز وجل : (فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس)[٢٧]. وبصدد تفسيره للآية السابقة ؛ استعرض (الطبري) أقوالاً مختلفة، ولكنه في النهاية يخلص إلى النتيجة التالية : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال أن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحياناً، أي تغيب، وتجري أحياناً، وتكنس أخرى، وكنوسها أن تأوي في مكانها، والمكانس عند العرب هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحشي والظباء (...) وغير منكر أن يستعار ذلك من المواضع التي تكون بها النجوم من السماء "[٢٨].

كما اعتقد المصري أن الأجرام السماوية "المضيئة ليلاً" ؛ ليست سوي كائنات أو أرواح تمسك بمصابيح، وهو ما يقترب من المعنى القرآني : (.. وزينا السماء الدنيا بمصابيح..) [٢٩].

فإذا انتقلنا إلى سورة الواقعة ؛ وجدنا القسم العظيم يتجدد، على النحو التالي : (فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم) [٣٠]. وحتى نعلم عظم هذا القسم لابد أن نقرأ ما جاء في سورة يونس : (هو الذي جعل الشمس ضياءً

والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقومٍ يعلمون) [٣١].

فهل كان المصريون القدماء قوما يعلمون بتفاصيل هذه الآيات ؟ نقول :

- لقد برع المصريون القدماء في تحديد مواقع النجوم.
- واستخدموا "مواقع النجوم" في وضع علم "حساب السنين".
- ثم وضعوا كل ذلك في إطار إيمانهم وعقيدتهم ومنظومتهم الدينية.

وفي معجم "الحضارة المصرية القديمة" أن المصريين قد توصلوا لسر النظام الكوني، وتشهد تقاويمهم بالجهود التي كرسوها لدراسة حركات الأجرام السماوية. وبعد كثير من التجارب وصلوا إلى معرفة السنة الحقيقية بدقة عجيبة"[٣٢].

والمقصود بالسنة الحقيقية هي السنة الشمسية، أو التقويم الشمسي الذي عمل به العالم كله بعد ذلك. وكان المصريون قد وضعوا "بدقة عجيبة" أيضاً هذا التقويم الدقيق للغاية، حتى أن خبراء التقاويم قالوا عنه : " لاشك في أن ذلك التقويم الذي عمل بذكاء في التاريخ البشري كله "[٣٣].

وبناء على توصل المصريين – من خلال رصد مواقع النجوم - إلى هذا النظام الكوني "الذي وضعه الله بالحق"، استطاعوا تحديد وضبط الحركة الزمنية سنوياً ويومياً، ليلاً ونهاراً[٣٤].

فقسموا السنة إلى ٣٦٠ يوماً، جعلوها اثني عشر شهراً، كل شهر ثلاثين يوماً، ثم أضافوا خمسة أيام أخرى على هذه، السنة اعتبروها أعياداً. كما قسم المصريون اليوم إلى أربع وعشرين ساعة. ولتعيين الوقت نهاراً استخدموا المزاول والساعات الرملية. ولما كانوا قد رصدوا "مواقع النجوم" وحددوها "بدقة عجيبة"، فإنهم اهتدوا بها ليلاً، ووضعوا خرائط تحدد مجموعات النجوم، إلى معرفة وتحديد الوقت ليلاً[٣٥].

توصل المصريون إذن إلى سر النظام الكوني، فوضعوا من خلاله حساب السنين. وليس غريباً أن ينسب الفضل في ذلك إلى الرب "تحوت"، رب الزمان. ويُعتقد أن هذا التقويم قد تم وضعه في عام ٤٢٤١ قبل الميلاد[٣٦].

وكان النيل، الذي بث الحياة في أرض مصر، هو أيضاً الذي حث أهلها إلى التوصل إلى هذا العلم. فكانوا يترقبون موعد الفيضان، ناظرين إلى السماء، راصدين ما يدور فيها، فتوصلوا إلى ارتباط فيضان النيل بنجم ذي شأن عظيم، هو نجم الشعرى اليمانية، وهو الذي يعتبر أشد النجوم بريقاً ولمعاناً، بل إن الضوء الصادر عنه يفوق ضوء الشمس ستة وعشرين مرة. أما حجمه فهو أكبر من حجم الشمس بحوالي مائتي مرة[٣٧]. كان ظهور هذا النجم إيذاناً بتدفق الفيضان. فحسب المصريون الفترة التي تفصل بين ظهور هذا النجم مرتين، فكانت هي السنة الشمسية التي نعرفها إلى اليوم. وكان ظهور هذا النجم يعنى إذن عودة الحياة على الأرض مصر، فماء الفيضان كان – ومازال – هو الحياة.

وكان نجم الشعرى اليمانية يختفي من السماء لمدة سبعين يوماً[٣٨]. وكانت المدة التي تستغرقها عملية التحنيط سبعين يوماً.

كما أن هناك نصاً مصرياً يشير إلى هذه المدة ؛ فبعد موت الملك (أبيس) قال (بسماتيك الثالث)، الذي كان مرشحاً لخلافة الملك المتوفي، والذي يشير إليه في النص بأنه الرب العظيم. يقول (بسماتيك الثالث) : " لقد التزمت بالحداد عند موته، وحرمت نفسي من الماء والخبز حتى انتهاء الأيام الأربعة، كنت عارياً وأرتعش فوق مقعدي، ولم أتناول أي غذاء سوى الخبز والماء والخضروات، حتى انتهاء السبعين يوماً، أي عندما خرج الرب العظيم من قاعة التحنيط، واستقر في مقبرته الكبرى بالجبانة، الواقعة في الصحراء الغربية لـ(منف) "[٣٩].

هكذا ارتبطت المدة الزمنية لعملية التحنيط بنفس الفترة التي يختفي فيها نجم الشعرى اليمانية، ليعاود الظهور بعد ذلك، فكان المصريون يتمنون عودة المتوفى إلى الحياة بعد هذه الفترة، كما عاد هذا النجم إلى الظهور ثانية بعد إفول.

هكذا آمن المصريون بالبعث بعد الموت، مستشهدين في ذلك بظاهرة رصدوا تكرارها في السماء، وجسدها نجم الشعرى. وقد جاء بالقرآن الكريم : (وأنه هو

رب الشعرى)، وهي الآية التاسعة والأربعون من سورة النجم، وفي الآية السابعة والأربعين من نفس السورة يقول الله عز وجل : (وأن عليه النشأة الأخرى)[٤٠].

والنشأة الأخرى في تفسير (الطبري) هي العودة للحياة بعد الموت. وأما "الشعرى" فهي نجم الشعرى، أو علي حد قول (الطبري) : " يعني بالشعرى النجم الذي يسمى بهذا الاسم "[٤١].

القمر : رب النور

جاء في القرآن الكريم : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سمواتٍ طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً..) [٤٢].

وقد اعتبر المصريون "القدماء" القمر بمثابة الشمس التي تنير الليل، واعتبروا غياب القمر وظهوره رمزاً لموت "أوزيريس" وعودته مرة أخرى.

وفي (طيبة) [الأقصر] عُرف "رب القمر" باسم "خنسو"، وهو أيضاً نفس اللفظ العربي "خنس"، كما جاء في القرآن الكريم " فلا أقسم بالخنس ".

كما عرف المصريون أيضاً رباً آخر للقمر، حاز شهرة عظيمة، هو الرب " تحوت". وفي معرض بحثه عن تفسير لغوي عربي لاسم " تحوت" ؛ يقول (علي فهمي خشيم) : " ونحن نعلم، من متابعة الروايات المتعددة عن وضع هذا المعبود في الديانة المصرية القديمة، أنه كان "رب القمر" ووزيراً للمعبود "رع"، ويلقب "أتون الفضي" = الشمس الفضية، وهو "رب النور"، انبثق من رأس "ست" إله الظلام، كما ينبثق الفجر من الليل، وشعاره الهلال والقمر بدراً ".

ويرى (خشيم) أن الباحثين الغربيين لم يوفقوا في نقل الحرف الأول من اسم "تحوت"، وهو الذي يقابل حرف الطاء، أو حرف الضاد في اللغة العربية. فذهب على أن اسم "تحوت" الصحيح لابد أن يكون ضحوت، ثم يرد هذا الاسم إلى الضحوة أو الضحى[٤٣].

و"تحوت"، "رب النور"، ورب القمر، كان هو الذي قام بعمل حسابات إنشاء السموات والأرض والنجوم. وكان من ألقابه "سيد الزمان" و"حاسب السنين"، فهو الذي يحسب كل شيء، ويحصيه في السماء وعلى الأرض.
وكما تحمل مآذن المساجد الهلال، كان " تحوت"، وكذلك "خنسو"، يحمل على رأسه الهلال والقمر.
كانت هذه هي علاقة "تحوت" رب القمر بالحساب والزمان.
وعلاقة القمر بالزمن والحساب تتجلى في الآية الكريمة التالية : (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقومٍ يعلمون).

خلق الإنسان

تقول إحدى الأساطير المصرية [القديمة] أن الإنسان جاء إلى الوجود من دموع الرب "رع"، ومن هنا جاء اشتقاق لفظ "الإنسان" "رم" من لفظة "رمت" أي دموع. وجمع إنسان في اللغة المصرية : "رمو"، فهم الناس أو البشر(٤٤).
ولم يكن الإنسان فقط هو الذي جاء من إفرازات إلهية، فقد جاء نبات الكتان مثلاً، والذي كان المصريون يستعملونه في صناعة ثيابهم، من سقوط عرق الرب على الأرض فأنبت هذا النبات(٤٥).

وكان موت "أوزيريس" بمثابة صدمة عنيفة جعلت الدماء تنزف من أنف أبيه "جب"، رب الأرض، فلما وقعت دماء "جب" على الأرض أنبتت شجر الصنوبر(٤٦). وقد بكى الرب "رع" أيضاً، فخُلق النحل من دموعه هذه(٤٧)، وخُلقت أشجار البخور من دموع "حورس"(٤٨).

ويفسر (ديمتري ميكس) و(كريستين فافارميكس) ظاهرة خلق الكائنات من إفرزات الأرباب، فيقولان بأن : " لهذه السوائل والانبعاثات قوى خاصة، وبصفة عامة، يعتبر كل ما ينبثق من الجسد الإلهي ويلامس الأرض شيئاً فعالاً". ويضيف الباحثان : " وخروج الكلمة، بل والكائنات أيضاً، بمثابة

نخامات وانبعاثات إلهية، وهي من هذا المنطق مفعمة هي أيضاً بقوى خلاقة"[٤٩].

ولما كان الإنسان ناتجاً من عنصر إلهي، فقد ذهب الكاتب المصري إلي تحريم إيذاءه بأي شكل من الأشكال، فيقول الحكيم (بتاح حتب) [٢٤٠٠ ق.م] : " لا تستخدم العنف ضد أي إنسان، في الريف أو في المدينة، لأنه مولود من العينين، وآتٍ منها"[٥٠].

وقد كرم الله الإنسان أيما تكريم، فخلق كل شيء من أجله، كما جاء في النص التالي : " البشر قطيع الله، لقد صنع السماء والأرض طبقاً لرغبتهم. أنه يروي الظمآن بالماء، وخلق الهواء حتى تحيا أنوفهم. إنهم صور له انبعثت من أعضائه، وخلق النبات والماشية والطيور والسمك غذاء لهم. وخلق النور وفق مرادهم، وإذا بكوا فإنه يسمع بكاءهم، ومنذ البدء جعل من الملوك حماة لظهور الضعفاء منهم "[٥١].

ولكن بالإضافة إلى ما تقدم هناك عملية خلق الإنسان الشهيرة، والتي يقوم بها الرب "خنوم". ولـ"خنوم" خالق البشر معبد رئيسي على جزيرة الفنتين في (أسوان)، حيث الشلال الأول، وحيث اعتقد المصريون بوجود منابع النيل هناك. ولذا كان "خنوم" رباً لهذه المنطقة الهامة. ويقوم "خنوم" بخلق الإنسان على عجلة الفخار، وقد صورته نقوش عديدة في معابد مختلفة وهو يقوم بهذه المهمة. وهكذا كان "خنوم" هو هذا "الفخراني" المنوط به صنع الإنسان. أما المادة التي صُنع منها هذا الإنسان، فكانت : الطين والقش، أو مثل ما قال الحكيم (أمنموبي) : " صُنع الإنسان من طين وقش وصانعه هو الله "[٥٢].

وعن خلق الإنسان من طين، جاء في سورة السجدة : (الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) [٥٣].

وجاء في سورة المؤمنون : (وقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين)[٥٤].

وفي سورة الأنعام : (هو الذي خلقكم من طين..) [٥٥].

وفي سورة الرحمن نقرأ أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار : (خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار) [٥٦]. وفي تفسير هذه الآية يقول (الطبري) : "خلق الله الإنسان، وهو (آدم)، من صلصال وهو الطين اليابس الذي لم يُطبخ، فإن من يبسه له صلصلة إذ حُرك ونقر كالفخار، يعني أنه من يبسه، وإن لم يكن مطبوخاً كالذي طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار "[٥٧].

فإذا عدنا إلى سورة الرحمن لنستكمل الآية الكريمة التي تقول : (خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار وخلق الجان من مارجٍ من نار)، وعن خلق الجان من نار يقول (ابن عباس) : " من أوسطها وأحسنها "، ويقول أيضاً : " خلقه من لهيب النار من أحسن النار "[٥٨].

أما الملائكة ؛ فقد جاء ذكرها في سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعلِ الملائكة رسلاً أولي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع..)[٥٩].

أما عن الملائكة عند اليهود ؛ فيقول (والاس بدج) : "والملائكة لدى العبرانيين مصنفة إلى عشر طبقات (..) وتتوزع بينهما المهام في السموات الأرض التي يأمرها بها الرب تبعاً لمكانتها ". ويضيف (بدج) : " وآلهة المصريين الدنيا، تلك التي نبع بعضها من النار، والبعض الأخر من الماء أو الريح، والذين جسدوا قوى الطبيعة، وعبدوها، ستجد أنها كانت تعاني من عديدٍ من نقائص الكائنات الفانية، وكانوا يعتقدون أنها تشيخ وتموت ".

ويخلص (بدج) إلى النتيجة التالية : ".. ومن ملامح أخرى يمكننا الاستشهاد بها، نجد أن الملائكة في الدين الإسلامي تملك في العموم نفس صفات الآلهة المصرية الدنيا "[٦٠].

اليوم الأخر

كما خلق الله الكون والإنسان ؛ فإنه وضع لهما نهاية محتومة. أما الكون فسوف يدك دكاً تماماً، وهو ما حفلت به نصوص قرآنية عديدة، ففي سورة الزمر نقرأ الآية رقم ٦٧ : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

وفي سورة الأنبياء ؛ تقول الآية رقم ١٠٤ : (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا حقاً إنا كنا فاعلين).

وهذا هو نفس مصير الكون في الفكر الديني المصري :

"سوف يتنبأ طائر البجع أن الدمار سوف يحدث، وسوف يهب "العظيم" قائماً، وينطلق التاسوع هائجاً، وسوف يحجز الوادي، وسوف يضم الطرفين على بعضهما بعضاً، وتلتقي الضفتان معاً، وتصير وعرة أمام المرتحلين، وتحطم المنحدرات أمام من يودون الهرب"[٦١].

وهكذا سوف يحل الدمار بالكون، ليعود كما كان قبل الخليقة. أما الموت فهو نهاية الإنسان التي لا مفر منها، فيشير الله تعالى إلى أن الموت هو نهاية كل إنسان، فيقول : (كل نفسٍ ذائقة الموت)[٦٢]، وكذلك : (كل من عليها فان)[٦٣].

والموت في القرآن نهاية حتمية لابد منها : (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم..)[٦٤]. والموت – مثل الحياة– بيد الله وحده : (قل الله يحييكم ثم يميتكم..)[٦٥].

وهذا هو ما ذهب إليه المصري [القديم]، وما آمن به، فالموت والحياة عنده رهنٌ بإرادة الله. واعتبر المصري الموت أمراً مفاجئاً غير متوقع : " الموت أمر بغيض يجلب الدموع والأحزان، يخطف الرجل من بيته"[٦٦]. وهو نهاية كل إنسان : " لا تقل إني ما زلت شاباً، فأنت لا تدري متى يدنو أجلك، فالموت يجيء و يأخذ الطفل من حجر أمه، كما يأخذ الرجل العجوز"[٦٧].

وجاء في أنشودة شهيرة تعرف باسم "عازف القيثار" : لا تزال بعض الأجيال تسير، ودخل غيرها إلى عالم الخلود منذ أزمنة موغلة في القدم، لا أحد يعود من وراء القبر فيخبرنا بما يحتاجون إليه هناك، أو ليريح قلوبنا حتى نذهب إلي هناك أيضاً، إلي حيث ذهبوا ".

وجاء في نفس القصيدة أيضاً : " لا حياة يمكن إطالتها في مصر، لا يوجد من لا يذهب إلى العالم الأخر، وليست فترة البقاء في الدنيا إلا بقدر فترة الحلم"[٦٨].

وكان المصريون يعتبرون الموت هو لحظة فراق الروح للجسد، أو كما يقول (أدولف إرمان) : " وكان موتهم يفسر بأن قوة خاصة كانت تلازمهم في حياتهم، وتسمي الـ "كا"، قد هجرتهم"[٦٩].

و"كا" هذه هي قوة إلهية، لازمة لاستمرار الحياة، فإذا ما هجرت الـ"كا" الإنسان.. مات. وما زالت بعض جدران معابد مصر تحمل نقوشاً تمثل الرب "خنوم" وهو يقوم بخلق طفل، و" كا" خاصة به في ذات الوقت. وتكون الـ"كا" شبيهة بهذا الإنسان تماماً، وتظل ملازمة إياه طيلة حياته، فإذا افترقا كان ذلك بمثابة إعلان بالموت.

وقد جاء في نصوص متأخرة : " إنك تعيش سعيداً فالـ"كا" بجوارك، ولن تهجرك أبداً[٧٠]. وكان المصريون يسمون القبر بدار "الكا".

ولكن "الكا" لا تفارق الإنسان فراقاً أبدياً، فبالرغم من انفصالها عنه ؛ إلا أنها تقدم له العون من حين لآخر[٧١].

ومنذ عصور ما قبل التاريخ ؛ كان المصري [القديم] يؤمن بأن الميت يحيا حياة جديدة في قبره، وهي حياة لها نفس الاحتياج الدنيوي. ولذا نجده حريصاً على تزويد المقبرة بما يحتاجه الميت، "الحي في قبره"، من طعام وشراب. وقد استمر هذا التقليد في العصور التاريخية، وما زالت جدران المقابر المصرية تحمل نقوش وصور ما لذ وطاب من طعامٍ وشراب.

وكانت الكا – القوة الحيوية – ترسم على هيئة ذراعين تمتدان إلى أعلى.

وبالإضافة إلى "الكا"، كان هناك أيضاً ما يعرف بالـ"با" أو"الروح"، على شكل طائر له رأس آدمية، وكذلك آياد بشرية بدلاً من مخالب الطير.

وقد ورد عدة مرات في تفاسير أئمة المسلمين بأن الأرواح لها علاقة بالطير. فقد سئل (عبد الله بن مسعود) عن الآية : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون) [آل عمران ١٦٩]، فقال : " أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة في العرش "[٧٢].

ويقول (شمس الدين القرطبي) أن (كعب) بن (مالك) روى أن رسول الله قال : (نسمة المؤمن طائر يعلق).. أما نسمة المؤمن فهي روح المؤمن الشهيد، على حد قول (القرطبي) [٧٣].

كما رُوي عن النبي أنه قال : " أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة "[٧٤]. وروي عن (ابن عباس) أنه قال : " إن أرواح الشهداء تجول في طير خضر "[٧٥].

وقال (عبد الله بن عمرو بن العاص) : " أرواح المؤمنين في طير كالزرازير ليتعارفون، ويرزقون في الجنة"[٧٦].

وقال (عبد الله) أيضاً بأن أرواح المسلمين عبارة عن "صور طير بيض".

عالم الموتى

ولكن إلى أين يذهب الناس بعد موتهم ؟.

لقد اعتقد المصري [القديم] أن نشأة الحياة وامتدادها هو حيث تشرق الشمس، فكان "الغرب" هو مأوى الموتى، هناك يحتشدون، حيث تغرب الشمس، ليلحقوا ثانية بركبها، لينضموا إلى موكب النور الأبدي.

وكانوا يطلقون على هذا العالم "الغربي" اسم "أمنتي"، أي المنطقة الخفية. وكانت الربة "أمنتيت"، ربة الغرب، تمثل عادة وهي ترحب بالموتى(٧٧).

وقد جاء في أحد النصوص المصرية القديمة : " ما من أحد استطاع أن يبقى في مصر، ما من أحد لم يمض إليه، فحياة الإنسان على الأرض لا تعدو سوى طيف خيال، فإذا ما جاء إلى الغرب قيل له : مرحباً ".

ويصف النص هذا العالم، عالم الموتى، أي الغرب : "بماذا يهرفون عندما يمدحون الحياة الدنيا، ويحطون من قدر عالم الموتى، ماذا يفيدهم عملهم هذا ضد الأبدية، إنها دار الحق التي لا خوف فيها، حيث لا شقاق ولا خصومة ولا عداء ولا أعداء، هنا يرقد أهلنا جميعاً منذ السنين الأولى، وإلى هنا سيأتي الجميع بعد ملايين السنين "(٧٨).

وقد ذهب علماء المسلمين – بما يشبه الإجماع – إلى وجود حياة في القبر، فالروح تعود إلى صاحبها بعد الموت، لتمارس حياة جديدة ولكنها مختلفة. وقد ذُكر "الغروب" في الحديث الشريف، أو تحديداً الشمس الغاربة "في القبر"، فيروي (أبو هريرة) عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال : " إن الميت إذا وضع في قبره أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه. فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه. فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة

والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل، فيقال له : اجلس، فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أخذت في الغروب "[٧٩].

وكما جاء "الترحيب" بالموتى في عالمهم الجديد في النص المصري [القديم]، جاء أيضاً "الترحيب" بالميت المؤمن أو"النفس الطيبة" في الحديث الشريف : "... ثم تلا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها إليه، فهو أشد لزوماً لها من المرأة إذا ولدتها، ثم يندح منها ريح أطيب من المسك، فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها، ويقولون مرحباً بالروح الطيبة والروح الطيب، اللهم صلي عليه روحاً وعلى جسد خرجت منه. قال : فيصعدون بها، ولله عز وجل خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو، فيفوح منها ريح أطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون، وتفتح لهم أبواب السماء، فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم، حتى ينتهي بها بين يدي الملك الجبار، فيقول الجبار جل جلاله : مرحباً بالنفس الطيبة، وبجسدٍ خرجت منه، وإذا قال الرب عز وجل للشيء مرحباً، رحب به كل شيء.. "[٨٠].

مشاهد من عالم الموتى

ذكرنا سلفاً تلك الأسطورة المصرية المعروفة باسم (سي أوزير). ومن بين أحداث هذه الأسطورة ؛ أن الصبي (سي أوزير) كان يجلس مع أبيه (سي توم) ذات يوم، فسمعا نحيباً عالياً، فنظر الأب (سي توم) : ".. من نافذة بيته فرأى رجلاً يشيع إلى المدافن في الصحراء، مصحوباً بعويل عال وتكريم كبير، ومتعلقات فخمة، وذات مرة أخرى حدث أنه نظر، فرأى رجلاً فقيراً محمولاً من (منف) [أي المدينة] إلى الصحراء [أي المدافن]، وقد لف جثمانه في حصير فقط، ولم تصحبه أية متعلقات ".

فظن الأب أن الأغنياء أوفر حظاً، فقال له ابنه : " فليكن حظك في العالم الأخر مثل حظ الفقير، ولا يكن نصيبك مثل نصيب الغني، عندما تنتقل في المستقبل إلى عالم الموتي "..

فلما لم يفهم الأب ما ذهب إليه ابنه (سي أوزير) ؛ أجابه الصبي : " إن شئت أريتك ". ثم أخذ (سي أوزير) أباه من يده، وصحبه إلى مكان ما " في الصحراء غرب (منف)" لا يعرفه الأخير، وهناك وجد بناء به سبعة أروقة، مكتظاً بالناس.. فدخلا الرواق الأول ونظرا، ودخلا الرواق الثاني ونظرا، ودخلا الثالث ونظرا، فلما دخلا الرواق الرابع رأى (سي توم) أناساً يبرمون حبالاً بينما الحمير خلفهم تأكلها، وكان هناك آخرون قد علق زادهم من ماء وخبز فوق رؤوسهم، وبينما كانوا يقفزون ليلتقطوه كان هناك آخرون يحفرون تحت أقدامهم ليحولوا بينهم وبين الإمساك به.

ثم دخلا الرواق الخامس فرأى فيه (سي توم) أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية صفوفاً، أما المذنبون أصحاب الآثام فكانوا واقفين على الباب طالبين الرحمة. وكان هناك رجل يستغيث ويصرخ مولولاً، وقد دخل في عينيه طرف باب الرواق الخامس ".

عند هذا الحدث من الأسطورة المصرية نتوقف لنجد عدة نقاط أساسية، تم بناء هذا الجزء من الأسطورة عليها :

١ - اصطحاب (سي أوزير) لأبيه إلى عالم مجهول، أي أن هناك شخصين أحدهما يقود الأخر إلى عالم يجهله هذا الأخر، وهو عالم الموتى، أو العالم الأخر.

٢ - هذا العالم يتكون من عدة مناطق تغص بناس، هم كما يبدو موتى يتم تعذيبهم.

٣ - تعذيب هؤلاء يتم بناءً على ما جنت أيديهم في عالم الأحياء، كما سيتضح فيما بعد، إذ بعد هذه الجولة يسأل (سي توم) ابنه (سي أوزير) عن ما رآه فيجيبه (سي أوزير).

٤ - إن (سي أوزير) لم يكن إنساناً عادياً، بل هو ملاك أو رسول بعثته العناية الإلهية إلى مصر، لينقذها من أخطار تعرضت لها.

وتمضي الأسطورة ليسأل (سي توم) ابنه (سي أوزير) : "ابني (سي أوزير)، إن الأعاجيب التي رأيتها في العالم الأخر كثيرة، فدعني أعرف حكاية هؤلاء الناس الذين يبرمون حبالاً، بينما الحمير خلفهم تأكلها، وحكاية الآخرين الذين كان زادهم ماءً وخبزاً، معلقاً فوقهم، وفي كل مرة يقفزون ليمسكوا به ؛ يقوم أناس آخرون بالحفر تحت أقدامهم ليمنعوهم من لمسه ".

ويجيب (سي أوزير) : ".. إن الناس الذين رأيتهم يبرمون حبالاً بينما الحمير خلفهم تأكلها ؛ هم هؤلاء الذين لعنهم الله على الأرض، فهم يكدون ليل نهار في سبيل قوتهم، بينما نساؤهم خلفهم يأخذن كل شيء، فلا يجدون خبزاً يأكلونه، وقد جاء أيضاً هؤلاء إلى العالم الأخر فكانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم، ووُجد أن ما كان يحدث لهم على الأرض يجب أن يجري عليهم في العالم الأخر. أما عن الآخرين الذين رأيتهم وقد عُلق زادهم من ماء وخبز فوق رؤوسهم، وفي كل مرة يقفزون ليلتقطوا منه شيئاً ؛ قام أناس آخرون بالحفر تحت أقدامهم ليحولوا بينهم وبين الإمساك به، فهم يتساوون مع أناس على الأرض، يكون أمامهم رزقهم ولكن يُحفر تحت أقدامهم ليمنعهم من الكسب. وقد جاءوا أيضاً العالم الأخر، وما جرى لهم في الدنيا جرى لهم في الأخرة. أما أرواحهم فقد نزلت إلى العالم السفلي. فليقر في قلبك يا والدي (سي توم) أن من فعل خيراً في الدنيا لقي خيراً في الأخرة. ومن فعل الشر في الدنيا لقي الشر في الأخرة. هذا هو ما يحدث وسيظل هكذا للأبد ".

ونمضي مع الأسطورة المصرية لنعرف مصير الرجلين، الغني والفقير، اللذين رآهما (سي توم) يحملان إلى المدافن، ففي الرواق الرابع كان (سي توم) قد رأى رجلاً يصرخ مستغيثاً، وقد دخل طرف باب الرواق في عينه، ولم يكن هذا الرجل سوي الغني، أو كما فسر (سي أوزير) ذلك لأبيه فقال : " أما ذلك الثري فقد انتقل على العالم الأخر، وقد قورنت سيئاته بحسناته، ففاقت سيئاته حسناته التي فعلها على الأرض، وهكذا صدر الأمر بانتقاله إلى العالم الأخر ليلقى جزاءه، فكان هو الرجل الذي رأيته وقد دخل طرف باب العالم الأخر في عينه اليمنى، وقد فغر فاهه مولولاً صارخاً ".

أما عن مصير الرجل الفقير ؛ فتحدثنا الأسطورة أن (سي أوزير) دخل مع أبيه الرواق السادس، ثم دخلا الرواق السابع، وهناك رأى الاثنان طيف الإله العظيم مستوياً على العرش : ".. وهنا رأى (سي توم) رجلاً وجيهاً يرفل في رداء ملكي، على مقربة من "أوزيرس"، وقد أنزل منزلة عالية للغاية، فاندهش (سي توم) مما رآه في العالم الأخر، وخرج (سي أوزير) أمامه، وقال له : أبي (سي توم)، ألم تشهد هذا الرجل الوجيه ذا الرداء الملكي، الكائن بالقرب من "أوزيريس" ؟. إنه هو الرجل الفقير الذي رأيته خارجاً من (منف) بلا مشيعين، ملفوفاً في حصير فقط، وقد انتقل إلى العالم الأخر، فوزنت سيئاته قياساً بمدة حياته التي كتبها له "تحوت" عند مولده، وقياساً بحظه على الأرض، وهكذا صدر الأمر أمام أوزريس بأن تذهب متعلقات الثري إلى هذا الرجل الفقير، وكذلك أن ينتقل إلى أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية، كرجل يخدم "سقر أوزيريس"، على مقربة من أوزيريس".

وتخبرنا الأسطورة أيضاً أن من تفوق حسناته سيئاته : "فإنه ينتقل إلى أرباب سيد الأخرة، وترتفع روحه إلى السموات، مع أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية".

وقد جاء بالحديث الشريف أن المرء إذا قبضت روحه : "..يصعد به إلى السماء، فتفتح له السماء، ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش"[٨١].

ويقول د. (سيد عويس) : " وقد عقد (ابن القيم) فصلاً ذكر فيه أقوال العلماء في مستقر الأرواح، ثم ذكر القول الراجح فقال : "قيل : الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت. فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، هي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منزلهم كما رآهم النبي [صلى الله عليه وسلم] ليلة الإسراء "[٨٢].

البعث

تتبدى أهمية الإيمان بالبعث، أو اليوم الأخر، في العقيدة الإسلامية في اقترانه بالإيمان بالله ذاته، وقد جاء ذلك في سورة البقرة : (.. من آمن بالله واليوم الأخر..) (٨٣).

وهو ما نصت عليه الآية في سورة المائدة : (.. من آمن بالله واليوم الأخر..)(٨٤).

والنقيض من ذلك صحيح أيضاً، فمن ينكر الأخرة لا يؤمن بالله : (وإذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة..)(٨٥).

كما أن عدم الإيمان بالله هو كفر بالأخرة ؛ كما جاء على لسان سيدنا يوسف : (.. إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالأخرة هم كافرون) (٨٦).

والإيمان بالأخرة هو من الثوابت الدائمة في الإسلام : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون)(٨٧). وعن تفسير هذه الآية يقول (الطبري) : " أما الأخرة فإنها صفة للدار، كما قال جل ثناؤه : "وأن الدار الأخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون"، وإنما وصفت بذلك لمصيرها، أخرة لأولى كانت قبلها "(٨٨).

ويقول (ابن عباس) : " وبالأخرة هم يوقنون، أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان "(٨٩).

فهل كان للمصريين مثل هذا الإيمان بالأخرة ؟، أي : الإيمان بالبعث والقيامة، والجنة والنار، والحساب والميزان ؟، هذا ما سوف يتضح لنا :

أما الإيمان بالأخرة فكان من الركائز الأساسية للعقيدة القديمة، وكان المصريون هم أقدم شعوب الأرض الذين آمنوا بالبعث بعد الموت، وباليوم الأخر، أو بالأخرة، التي هي كلمة مصرية صميمة، انتقلت كما هي بمعناها ولفظها إلى اللغة العربية(٩٠).

وقد عرف المصريون نوعين من البعث، أو قل كان لديهم مدرستان أو مذهبان لتفسير مسألة البعث، أولهما هذا البعث الذي آمن به أتباع العقيدة

الشمسية، أو روح له كهنة الإله "رع". فقد أوجدوا علاقة بين شروق الشمس ومسارها في السماء ثم غروبها، واختفاءها ليلاً اختفاءً مؤقتاً، ثم عودتها مرة أخري لتواصل مسيرتها، وهكذا إلى الأبد.

فكان أن أوجدوا علاقة بين ذلك وبين حياة الإنسان، مقرنين بينه وبين ما يحدث للشمس، فهو يعيش ثم يموت، أو يختفي مؤقتاً ثم يعود ثانية، فلم يكن الموت سوى لحظة فاصلة، أو حلقة تصل بين حياتين، ولذا لم يكن غريباً أن يطلقوا على الأبدية لفظة "الحياة"، وطبقاً لهذه النظرية فإن الميت كان ينهض ليلحق بمسيرة الشمس، أو ليصير جزءاً منها[٩١].

أما الفكرة التي شاعت بين المصريين عن البعث فكانت مرتبطة بعقيدة "أوزيريس"، أو كما يقول (والاس بدج) : " أنها لاقت استحسان جموع المصريين، فكما رأى المصري في مسار الشمس اليومي رمزاً للخلود والبعث المتجدد، رأى ذلك أيضاً على أرضه.. فالحياة تتجدد باستمرار، فكان يري فيضان النيل وهو يغمر الأرض "الميتة"، فإذا بالحياة تدب فيها وتخرج من بين ثناياها خضراء مزدهرة. وهكذا يبدو واضحاً أن فكرة البعث هذه متسقة تماماً مع طبيعة البلاد المصرية الزراعية، وقد ارتبطت فكرة البعث هذه بالإله "أوزيريس" منذ زمن مبكر للغاية"[٩٢].

كما جاء في معجم المعبودات والرموز ؛ أن "أوزيريس" كان يرمز لمظهره النباتي بالقمح، فكان يوطيء في الأرض أولاً [أي يدفن]، ثم يستريح في ظلام [ظلام العالم]، ثم تنبت البذرة الجديدة [البعث]، مما يمكن فهمه أنه كانت توجد علاقة خاصة بين الماء واهب الحياة وبين الإله[٩٣].

وقد جاء بالقرآن الكريم : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون) [٩٤]. (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلدٍ ميتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) [٩٥].

(يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ويُحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخرجون) [٩٦].

وعن أصل "أوزيريس" نشأت نظريتان :

أولاً : أن "أوزيريس" كان ملكاً حقيقياً حكم مصر.

ثانياً : أنه كان تجسيداً لفيضان النيل، الذي يجدد الحياة في الأرض الميتة[٩٧].

وقد ذكرته متون الأهرام بأنه الأخضر العظيم[٩٨]. ومنذ عصر الدولة الوسطى صار "أوزيريس" رباً للفيضان والخصب[٩٩].

وكما حرص القرآن على تذكير المسلمين بالبعث والنشور، وضرب لذلك مثلاً بإحياء الأرض بعد موتها، فإن المصريين [القدماء] كانوا أيضاً حريصين على ذلك، من خلال احتفال أو عادة سنوية كانوا يكررونها على ضفاف النيل : فقد كانوا يصنعون تماثيل على شكل "أوزيريس"، يضعون فيها شيئاً من الطين والبذور، ثم يضعونها على ضفة النيل، وبعد أيام ينبت البذر، ويزدهر ضاربين بذلك مثل الأرض التي عادت إليها الحياة[١٠٠].

وقد عرف المصريون شعيرة اشتهرت بـ"طقس فتح الفم"، وهو طقس سحري غامض، يُجرى على جثمان المتوفي، فيضمن له فتح فمه، فيستطيع الحديث، وكذلك الأكل والشرب. وتعيد هذه الشعيرة كل الحواس إلى الجسد "الميت" مرة أخرى، فتدب الحياة فيه. وقد جاء على لسان المتوفي في كتاب الموتى : " عسى أن يفتح لي عيني اللتين عميتا، ويمكنني من ساقي اللتين ربطتا، عسى أن يجعل ""أنوبيس"" رجلي ثابتتين حتى أقف بهما. لعل الربة "سخمت" تجعلني أنهض، لأتمكن من الصعود إلى السماء"[١٠١].

وفي كتابه "التذكره في أحوال الموتى وأمور الأخرة"، يسوق (شمس الدين القرطبي) أحوالاً عديدة يمتلك فيها الموتى قواهم الحسية، ومن هذه الحالات يذكر (القرطبي) : " فأما حال البعث من القبور ؛ فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح، لقوله تعالى (يتعارفون بينهم) [يونس : ٤٥]، وقوله : (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً) [طه : ١٠٢]، وقوله : (فإذا هم قيامٌ ينظرون) [الزمر ٦٨].

والحالة الثانية : حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضاً في هذه الحالة بحواس تامة، لقوله عز وجل : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون)

[الصافات ٢٢ – ٢٤]، ومعنى فاهدوهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت أنهم يكونون بأبصارٍ وأسماعٍ وألسنةٍ ناطقة.

والحالة الثالثة : وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضاً كاملي الحواس ليستمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها. وقد أخبر تعالى عنهم أنهم يقولون : (ما لِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) [الكهف ٤٩]، وأنهم يقولون لجلودهم : (لم شهدتم علينا) [فصلت ٢١]، وليشاهدوا أحوال يوم القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا من شدتها، وتصرف أحوال الناس منها"[١٠٢].

obeikandl.com

العالم الأخر "دوات"

خلف المصريون [القدامى] آثاراً أدبية بالغة الأهمية، تناولت "العالم الأخر" وما يدور فيه، وقد حظي "كتاب الموتى" بالشهرة دون هذه الأعمال الدينية الأخرى، التي لا تقل عنه أهمية.

وكتاب الموتى عبارة عن مئات المخطوطات البردية، تم العثور عليها بمقابر ملوك الدولة الحديثة، وقد قام عالم المصريات (ريشارد ليبسوس) بجمع هذه البرديات، ونشرها عام ١٨٤٢ م.

وفضلاً عن أن "كتاب الموتى" يعطينا صورة عن العالم الأخر، فقد تضمن أيضاً تعاليم ورقى وتعاويذ ؛ تهدف إلى حماية المتوفي من شرور الطريق إلى عالمه الجديد، وهي تقوده وترشده أثناء رحلته في هذا العالم الأخر.

كما سُجلت به أيضاً – على نحو تفصيلي – إجراءات المحاكمة التي تجري للموتى، ويعطي كتاب الموتى صورة وفكرة عن الحياة في الأخرة.

ومن الكتب الشهيرة والهامة، والتي تعطينا فكرة طيبة عن العالم الأخر في عقيدة المصريين، الكتاب المعروف باسم "إم داوت"، أي "الذي في العالم الأخر"، ويعتبره (ياروسلاف تشرني) مع "كتاب البوابات" – الذي سيأتي ذكره فيما بعد - " نموذجين آخرين للأدب الجنازي المثير، الذي انفرد به المصريون دون شعوب كل العصور وكل العالم، في إبداعه مع موتاهم "[١٠٣].

ويتضمن كتاب "العالم الأخر" "إم داوت" وصفاً لرحلة الشمس في العالم الأخر، كما سبق الإشارة إليه. وكما ذكرنا فقد تم تقسيم هذا العالم إلى اثني عشر قسماً، أي اثني عشر ساعة، وهي التي نعتبرها في عالم الأحياء ساعات الليل. وهذه الأقسام عبارة عن مغاور أو حقول غاصة بالأرباب والأرواح والموتى، من الأشرار والطبيين، ويقوم على إمرة كل قسم منها رب من الأرباب، ويجتاز هذه الأقسام الاثني عشر "رب الشمس"، الذي يُذكر في كتاب "إم داوت" باسم "يوف".

والعالم الأخر ليس عالماً يقع أسفل عالمنا[١٠٤]، كما يفهم البعض، أو كما ترجمه البعض على أنه العالم السفلي، فهو عالم موجود خارج عالمنا، وقد يكون موقعه في السماء، أو كما أشارت نصوص من زمن الأسرة التاسعة عشر؛ إلى أنه عالم بعيد وراء الأرض قريب من الجنة[١٠٥].

والدوات عبارة عن وادٍ رحيب، تحيط به الجبال، التي تفصل بينه وبين الأرض من جهة، وبينه وبين السماء من جهة أخرى[١٠٦].

وهناك في هذا العالم تكون لـ"أوزيريس" السلطة المطلقة، وفي هذا العالم يتم أيضاً محاكمة الموتى.

أما كتاب الأبواب والبوابات فهو يشبه كتاب "إم داوت" إلى حد بعيد، ويعود تاريخه أيضاً إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة، ويحدد (إريك هورنونج) تاريخه بدقة، فيرجعه إلى قبيل عهد إخناتون. وكان أول من استخدمه في تزيين مقبرته بوادي الملوك هو الملك (حار محب) [١٠٧].

وفي كتاب البوابات ؛ ينتظم أهل العالم الأخر في مجموعات معينة. كما تنقسم مناطقه أيضاً إلى اثني عشر ساعة، ولكن في هذا الكتاب تبرز أهمية بوابات اثني عشر تفصل هذه الساعات عن بعضها. وتعتبر هذه البوابات بروج حراسة، يقوم عليها حراس وثعابين تنفث ناراً، ويحملون أسماء بعينها مثل "صاحب النار الحادة"، و" من تبصق عيناه النار"[١٠٨]. وتمر سفينة الشمس من البوابات بعد أن يقوم حراسها بفتحها أمام الموكب الإلهي.

ومن الكتب الجنازية هناك أيضاً "كتاب الكهوف"، وهو عبارة عن جزءين، ينقسم كلٌ منهما على ثلاثة أقسام. ويعتبر هذاالكتاب عالم الموتى كهوفاً أو مغاور[١٠٩].

أما "كتاب السموات" ؛ فهو يقسم السماء، أو جسد الربة "نوت"، إلى ساعات ذات أبواب، حيث تقوم الشمس برحلتها[١١٠].

وهناك كذلك "كتاب الليل" و"كتاب النهار"، وهما يتناولان الرحلة الكاملة للشمس ليلاً ونهاراً، أي خلال يوم كامل[١١١].

ومن كتب العالم الأخر كتاب "عبادة "رع" في الغرب"، أو "ابتهالات إلى رع"، وهو يضم خمساً وسبعين قصيدة مديح لـ"رع". كما يوضح قسم آخر في هذا الكتاب عملية اندماج الملك المتوفي في الشمس، وهو بذلك يحصل على الخلود، من خلال مشاركة يومية أبدية في رحلة الشمس[١١٢].

الطريق إلى الآخرة

وهناك كتب أخرى تناولت مسألة العالم الأخر، منها ما يصور الحياة بعد الموت، مثل "الشات إم داوت"، ومنها ما كان بمثابة دليل تهتدي به روح المتوفي إلى طريقها إلى الأخرة[١١٣].

كما يوجد كتاب يعرف باسم " كتاب السبيلين" ، أو الصراطين. وكما يدل عنوان هذا الكتاب المصري [القديم]، فإنه يحتوي على وصف لطريقين يقود كلٌ منهما إلى ملكوت الأبرار. وأحد هذين الطريقين بري، أما الأخر فهو طريق مائي، ويفصل بينهما بحر من النار، كما أن هناك أيضاً سبلاً ثانوية لا يحبذ انتهاجها، لأنها لا تؤدي إلا إلى النار[١١٤].

يقول (القرطبي) : " إن في الأخرة صراطين، أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقط عنق النار، فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص منه إلا المؤمنين، الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم، حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله، لأنهم قد عبروا

الصراط الأول المضروب على متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه"[١١٥].

وفي سورة الصافات نقرأ : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون. من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) [١١٦].

أما المصري القديم فيبتهل قائلاً : " لتضمن لي طريقاً، عسى أن أعبر عليه في سلام لأنني عادل وحق، لم أنطق بالأكاذيب عمداً، ولم أرتكب خداعاً قط"[١١٧].

كما يقول النص المصري القديم : " يقول لي الآلهة : دع نفسك تأتي "، وبعد أن يذكر المتوفي اسمه ومن أين أتى : " يقول حينئذ لي : مر في الطريق المستقيم"[١١٨]. وكذلك : " وتخلص من الهلاك الذي يسير على الطريق المستقيم"[١١٩].

" وحين تُقبض الروح ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى " ، كما يقول (أبو الحسن القابسي)، ويضيف بأن ذلك هو : " الصحيح من المذهب، والذي عليه أهل السنة "[١٢٠]. ويصل الملك الأمين بروح الميت إلى سماء الدنيا : " فيقرع الباب، فيقال للأمين : من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائيل، وهذا فلان معي، بأحسن أسمائه وأحبها إليه، فيقول : نعم الرجل كان فلان، وكانت عقيدته غير شاك، ثم ينتهى به إلى السماء الثانية، فيقرع الباب، فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى، فيقولون أهلاً وسهلاً بفلان "..

وهكذا يظل الملك يرتقي بالروح "الصالحة" من سماء إلى أخرى، حتى يصل السماء السابعة، وينتهى به إلى سدرة المنتهى، وبعد ذلك : " يُفتح له، فيمر في بحر من نار، ثم يمر في بحر من نور، ثم يمر في بحر من ظلمة، ثم يمر في بحر من ماء، ثم في بحر من ثلج، ثم يمر في بحر من برد، طول كل بحر منها ألف عام"[١٢١].

الأبواب

عرف المصريون [القدامي] فكرة وجود أبواب للعالم الأخر، توصد دون المتوفي، ويقوم على حراستها حماة شداد، لا يفتحونها إلا للأبرار، ليجتازها هؤلاء إلى مستقرهم الأخير. فقد جاء في "كتاب الموتى" على لسان المتوفي : " لعل أبواب السماء تفتح لي ".

وقد جاء ذكر الأبواب في القرآن الكريم مرات عديدة، نذكر منها : (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون)[١٢٢]، وكذلك : (وفتحت السماء فكانت أبواباً). [١٢٣]

وجاء في صحيح (مسلم) رواية عن (عمر بن الخطاب) عن النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه قال : " وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء "[١٢٤].

كما يُفهم من الآية القرآنية التالية أن أبواب السماء لا تفتح لبعض الناس، وهم : (.. الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء..)[١٢٥].

ويقول النص المصري : ".. لتدعه يستقر بين القاطنين في السماء، لتدع العالم الأخر يفتح له الأبواب "[١٢٦].

أما المؤمنون البررة فإن الأبواب تفتح لهم فيعبرون. أو هكذا يتمنون : " عسى أن أحضر وأخرج دون عائق من بوابات العالم الأخر، ولعلي أمنح أرغفة الخبز في منزل البرد، وهبات الطعام في (أون) ومستقراً أبدياً، في حقول السلام، حيث يفيض القمح والشعير "[١٢٧].

وجاء في القرآن الكريم : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[١٢٨].

وفي كتاب الموتى جاء على لسان المتوفي : ".. إني نقي الفم، طاهر اليدين، عسى أن يقول هؤلاء الذين ينظرونني : تعال في سلام، تعال في سلام "، وكذلك : " لعل أبواب السماء تفتح لي. عسى أن يفتح لي "سب" أمير الآلهة فكيه مرحباً "[١٢٩].

وكما أن للسماء أبواباً وللجنة أبواباً، فإن لجهنم أبواباً أيضاً، فقد جاء في سورة الزمر : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) [١٣٠].

وفي كتاب الموتى : " البوابة الثامنة.. النار البراقة بألسنة لهيب لا تخمد، تمتد بعيداً صاعقة، لا يمكن لأحد مقاومتها، ولا يستطيع أحد عبورها بسبب أذاها"[١٣١].

الحساب

وبعد أن يعبر المتوفي دروباً وعرة، يتعرض خلالها لمصاعب جمة وأخطار مهلكة، يصل في النهاية إلى قاعة "الحق"، حيث تنعقد له "محاكمة"، يتم من خلالها حساب المتوفي على ما جنته يداه. ويعتبر "حساب الموتى" واحداً من أهم العناصر موضوع العالم الأخر، كما يعتبر كذلك مسألة بالغة القدم في الفكر المصري، وعن هذا يقول (والاس بدج) : " إن فكرة حكم ينتظر الشخص الميت عند عتبة الحياة الثانية موجودة منذ الدولة القديمة، ولا شك أنها من أقدم عناصر الفكر الديني المصري"[١٣٢].

ويتم حساب المتوفي في قاعة محكمة، وعلى باب هذه القاعة يقف حارس قوي، هو الرب "أنوبيس"، الذي لا يدع المتوفي يجتاز الباب إلا بعد أن يبرهن للحارس على معرفته وإدراكه أنه يقف في هذه اللحظة أمام هذا الباب الرهيب : " يقول الرب "أنوبيس" المهيب : أتعرف اسم ذلك الباب.." [١٣٣].

فإن كانت إجابة المتوفي إجابة صحيحة، تدل على معرفته "التفصيلية" بأجزاء الباب، سُمح له بدخول قاعة الحق.

فإذا ما دخل القاعة ؛ رأى مشهداً جليلاً، وصفه لنا الكاتب المصري في أسطورة (سي أوزير)، الذي أخذ أباه (سي توم) إلى العالم الأخر، فقاده عبر عدة أورقة حتى وصلا الرواق السادس : " ثم دخلا الرواق السادس وفيه رأى (سي توم)

"طيف أوزيريس"، الإله العظيم، مستوياً على عرشه المصنوع من الذهب الخالص، متحلياً بتاجه الأبيض، وكان على يساره الإله العظيم "أنوبيس"، وعلى يمينه الإله العظيم "تحوت". أما أرباب المحكمة فكانوا مصطفين عن يمينه وعن شماله، وقد أقاموا الميزان في الوسط، وصارت السيئات توزن مقابل الحسنات، وكان الإله العظيم يمسك بالكتاب، بينما "أنوبيس" يملي على رفيقه البيان. فإن بدت سيئات أحدهم أكثر من حسناته، ألقي به إلى الملتهمة، خادمة سيد الأخرة، فتأتي على جسده وروحه معاً، ولا يسمح له أن يتنفس أبداً. أما إن زادت حسنات أحدهم على سيئاته فإنه ينتقل إلى سيد الأخرة، وترتفع روحه إلى السموات مع أصحاب الوجوه السمحاء والمنزلة العالية.. ".

أبـــــــــواب الآخرةعليهـــا حراس أشداء

هكذا من خلال نص أسطوري تعرفنا على قاعة المحاكمة، وهى– كما جاء بالنصوص الدينية – عبارة عن قاعتين، أو قاعة مزدوجة. ويتصدر القاعة الإله الأعظم "أوزيريس"، الذي هو نفسه "سيد الأخرة"، جالساً على عرشه، وعن

يمينه ويساره ربان أو ملكان. ثم يواجهنا صفان من القضاة المحكمين، يبلغ عددهم اثنين وأربعين. وأمام هؤلاء ينكر المتوفي اثنين وأربعين ذنباً، لم يقترفها في حياته. نذكر منها : "إني لم أسرق"، "إني لم أقتل ولم أرتكب أذى"، "لم أنطق كذباً "، "لم أسبب ألماً"، "لم أقترف الزني"، "لم أتسبب في بكاء"، "لم أرتكب الغيبة"، " لم أغضب إلا للحق"، "لم أنتهك (المحرمات)"، "لم أدنس نفسي"، "لم أغرر بزوجة غيري"، "لم أصم أذني عن كلام العدل والحق"، " لم أسع في وشاية"، "لم أسبب رعباً لإنسان" و" لم أكن متكبراً"، "لم ألوث المياه قط"[١٣٤].

وفي بردية أخرى نقرأ نصاً ينفي فيه المتوفي عن نفسه اقتراف خطايا شبيهة، نذكر منها – إضافة لما تقدم : " لم أقهر أحداً من أفراد أسرتي" ، " لم أعامل الخدم بسوء" ، " لم أسمح بضرر يقع على خادم من رئيسه"، " لم أغش بالكيل ولم أطفف الميزان"، "لم أنتزع اللبن من فم الرضيع ولم أطرد قطيعا من مراعيه"، "لم أحول مياه الري في مواسمها، ولم أخرب قنوات المياه الجارية"[١٣٥].

وفي وسط قاعة الحق "ماعت" يقوم الميزان العظيم، الذي يقف عليه عدة أرباب أو ملائكة، كلٌ موكول إليه مهمة محددة، فأحدهم يهتم بضبط الميزان نفسه بدقة متناهية، والأخر يعمل على تنفيذ الحكم الفوري الصادر ضد المذنب. وقبل ذلك يسجل "ملك عظيم" نتيجة "الوزن"، أي الحساب الدقيق. كما يحضر "عملية الحساب" هذه ملاك آخر نائباً عن المتوفي نفسه. وعلى إحدى كفتي الميزان توضع ريشة تمثل الصدق والعدل والنظام.

كانت هذه هي العناصر الأساسية لمسألة "الحساب في الأخرة" عند المصريين، فماذا عنها في الإسلام ؟ : في "الأخرة" يتم " حساب" المسلم عن عمله بواسطة "ميزان"، وعن هذا الميزان يقول الله عز وجل : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً..)[١٣٦]. وعن صفة هذا الميزان يقول (الطبري) :

".. قالوا وذلك الميزان الذي يعرفه الناس له لسان وكفة، وقال (عمرو بن دينار) : أنّا نرى ميزاناً وكفتين.." [١٣٧].

وقال (ابن عباس) : " توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان"[١٣٨].

وعن مكان الميزان يقول (عبد بن سلام) : " إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس، يستقبل به العرش"[١٣٩].

ويقول (القرطبي) : " ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى"[١٤٠].

وللميزان أيضاً من يقوم عليه، وهو هنا (جبريل) كما يقول (حذيفة) : " صاحب الميزان يوم القيامة (جبريل) عليه السلام "، وكذلك (ابن سلام) : " و(جبريل) أخذ بعموده ناظراً إلى لسانه "، أي عمود ومؤشر الميزان[١٤١].

أما عن عملية الوزن نفسها ؛ فقد جاء في القرآن الكريم : (والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)[١٤٢]، و : (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)[١٤٣]، و : (فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشةٍ راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية)[١٤٤].

وقد جاء بالقرآن الكريم أيضاً أنه مهما تضاءل عمل المسلم، خيراً أو شراً، فإنه يحسب له أو عليه : (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره)[١٤٥].

وفي الدين المصري كان المعيار [الوزن] لذلك هو "الريشة"، وفي القرآن الكريم : (.. فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين)[١٤٦].

ومن جانب آخر كانت هذه الريشة رمزاً للصدق والعدل والنظام، وهي مباديء سامية ثلاثة جمعها المصري في لفظ واحد هو " ماعت"، وهو ما نعتقد أنه يوازي الكلمة العربية : "الحق". وهو ما جاء في قوله عز وجل : (والوزن يومئذٍ الحق..)[١٤٧].

وأمام "الحق" وضع المصريون في كفة الميزان الأخرى قلب الإنسان. وعن هذا جاء في النص المصري [القديم] : " إن قلب "أوزيريس" (آني) [اسم المتوفي] بالحقيقة قد وزن "[١٤٨].

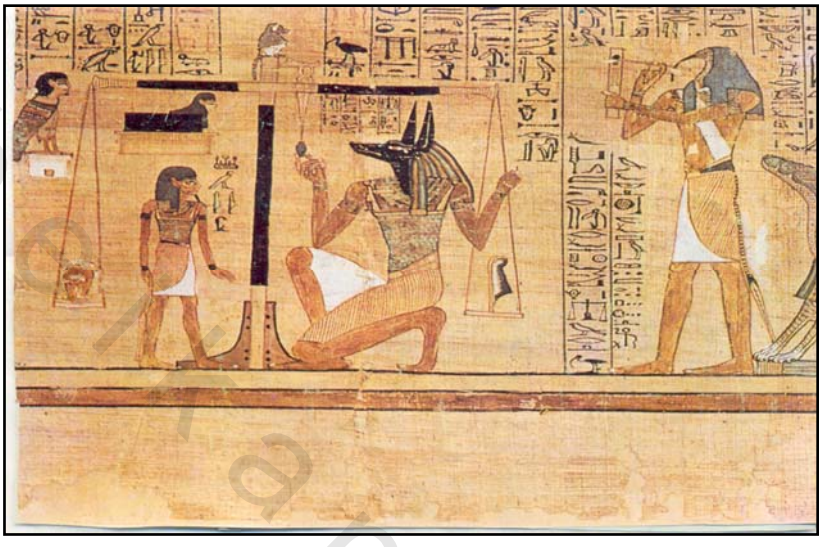

الميزان :

وزن قلب المتوفي (آني) في قاعة المحاكمة – عن كتاب الموتى :

- الميزان قائم في الوسط.. ريشة الـ"ماعت" على كفته اليمنى، وقلب المتوفي على الكفة الأخرى.
- "أنوبيس" يعتني بضبط ودقة مؤشر [لسان] الميزان.
- "تحوت" يمسك بقلمه ولوحته.
- في أقصى اليسار روح المتوفي، "با"، على هيئة طائر ذي رأس إنسان.

وقد عرف المصريون هذه الأهمية العظيمة للقلب، والتي تميزه عن بقية أعضاء جسد الإنسان.

فقد أدركوا أن القلب هو : " منبع جميع الأوعية"، فحيثما يضع الطبيب يده على أي عضو، أو جزء من أجزاء البدن، يجد حركة القلب المتمثلة في ضربات النبض. (١٤٩)

ويعلق الدكتور (حسن كمال) على ذلك، فيقول : " فمن هذا يتضح أن المصريين هم أول من عرف مركز القلب، وعلاقته بالأوعية الدموية، وأنهم أول من اكتشف النبض، وعرف سير الأوعية، وأن حركات النبض دليل مرشد للأوعية "(١٥٠).

وقد اعتقد المصريون [القدماء] أن القلب هو مركز الحس، وأنه هو العقل أيضاً. وإن كانوا قد توصلوا فيما بعد إلى أن العقل هو مركز التفكير، إلا أنهم ظلوا على إيمانهم العقائدي ذلك. واعتبر المصري أن القلب هو الضمير، وهو مخزن أسرار أعمال الإنسان، ونياته خيراً كانت أو شراً، ولذا حرصوا على تركه في جسد الإنسان "المتوفي"، لكي يلقى ربه بهذا القلب، فيوضع في الميزان.

ونفهم من خلال آيات القرآن الكريم أن القلب [في الدنيا] هو العقل :

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها) (١٥١).

(كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) (١٥٢).

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها..) (١٥٣).

وهو أيضاً محل النية والأسرار :

(وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليمٌ بذات الصدور) (١٥٤).

(إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه عليمٌ بذات الصدور)(١٥٥).

(.. أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) (١٥٦).

(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) (١٥٧).

كما أن القلب في القرآن هو محل الهداية :

(ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيءٍ عليم) (١٥٨).

(أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك..)(١٥٩).

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد)[١٦٠].

وعن أهمية القلب في الأخرة، يقول الله تعالى :

- (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ منيب) [١٦١].

- (إلا من أتى الله بقلبٍ سليم) [١٦٢]. و"القلب السليم" يمكن أن يكون أيضاً القلب النقي، كما جاء في نص كتاب الموتى : " قلبه كان على الميزان نقياً".

وقد جاء أيضاً في نفس السياق ؛ دعاء يوجهه المتوفي إلى قلبه : " عسى ألا تهجرني في وجود حامل كفتي الميزان يا من أنت قرين جسدي "[١٦٣].

وكذلك : " طوبى لك أن تسمع الإله "تحوت"، قاضي العدل والحق في هيئة الآلهة المهيبة الكائنة بحضرة "أوزيريس"، يقول : إن قلب "أوزيريس" [المتوفي] بالحقيقة قد وُزن، وروحه وقفت شاهدة عليه.. لقد وُجد لا تشوبه شائبة شر.. إنه لم يفسد القرابين في المعابد.. إنه لم يأت بالأذى في أعماله، أنه لم ينطق بألسنة السوء عندما كان على الأرض، لقد وُجد صادقاً عند وضعه على الميزان العظيم "[١٦٤].

كما يقول المتوفي أيضاً : ".. إني في حضرتك يا رب عالم الموتى، ليست هناك خطيئة عالقة بي، لم أقل كذباً أدريه، ولا فعلت شيئاً بقلبٍ غاشٍ، لتمنحني أن أكون واحداً كهؤلاء المقربين الذين حولك "[١٦٥].

وبعد إتمام عملية وزن السيئات والحسنات، أو وزن القلب مقابل "الماعت"، يقود "حورس" [ابن "أوزيريس"] المتوفي إلى أبيه، ثم يشهد قائلاً : " لقد أتيت يا "ون نفر"، وأحضرت إليك "أوزيريس آني" [المتوفي]، قلبه كان على الميزان نقياً، لم يرتكب خطيئة ضد رب أو ربة، لقد وزنه "تحوت" وفقاً لأمر هيئة الأرباب، وأنه بالحقيقة عادل وحق "[١٦٦].

وفي سورة "ق" نقرأ الآية رقم ٢١، التي تقول : (وجاءت كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيد)، ويفسر (الطبري) هذه الآية بقوله : " وجاءت يوم ينفخ في الصور كل

نفسٍ، ربها معها بسائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا، من خيرٍ أو شر"[١٦٧].

وفي مشهد يوم الحساب رأينا "ملكين" أو "ربين"، أحدهما "أنوبيس" عن يسار الإله الأعظم، والأخر هو "تحوت"، رب الكتابة الموكل إليه تدوين كل الأمور، وكان على يمين "أوزيريس".

وقد جاء في القرآن الكريم : (إذ يلتقى الملتقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد)[١٦٨]، وفي تفسير هذه الآية يقول (مجاهد) : " عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السيئات ". وعن (قتادة) قال : " تلا الحسن عن اليمين وعن الشمال قعيد، فقال يا بن آدم بسطت لك صحيفة ووكل به ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك "[١٦٩].

"حورس" ابن "إيزيس" يسوق المتوفي إلى أبيه "أوزيريس".
فصل المحاكمة، كتاب الموتى.

الجنة

كانت الجنة عند المصريين [القدماء] هي مقر الصالحين ومثوى الأبرار، ولما كانت الحياة في الأخرة امتداداً للحياة في الدنيا ؛ كانت الجنة أيضاً على صورة

الموطن الأول، حقول ومراع شاسعة، ذات خيرٍ وفير وزاد كثير، يواصل فيها المصري حياته في سلام، آمناً بين أهله، كما كان ذات يوم يعيش على ضفاف النيل[١٧٠].

وعن هذه الجنة المصرية يقول عالم المصريات الكبير (أدولف إرمان) : " وزاد الشعب في صورة مقر الأبرار، فتصوره مجموعة من الجزر، تحيط به المياه المختلفة، وتسمى إحدي هذه الجزر "حقل الأطعمة"، وأزكى منه شهرة "حقل يارو"، وهو حقل الأثل الذي ظل المصريون حتى عصورهم المتأخرة يعتبرونه مقر الممجدين. ومما لا يحتاج إلى بيان أن المصريين تصوروا هاتين الجنتين على شاكلة بلادهم نفسها، إذ يغمرها الفيضان ويزدهر فيها الزرع[١٧١].

وقد تردد صدى هذه الفكرة عن الجنة المصرية في "التوراة"، حين وصفت الجنة بأنها على شاكلة أرض مصر : " كجنة الرب كأرض مصر"[١٧٢].

أما (عبد الله بن عمرو) فقد قال أيضاً : " من أراد أن ينظر إلى مثل الفردوس في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر"[١٧٣].

الحياة في الجنة "المصرية" إذن حياة هانئة مريحة وآمنة، على أرض خصبة، تتوافر فيها متعة الحياة الأولى، ولكن على نحو أبدي خالد.

وعلى النقيض من هذه الجنة "الحسية"، قدمت مدرسة "رع" نموذجاً لجنة أخرى، إذ انتقل إليها الإنسان إلى رفقة الإله الأعلى، وانضم إلى موكبه النوراني، حيث الطعام نور والكساء نور والسعادة أبدية.

وقد ورد بالأحاديث النبوية الشريفة ذكر صريح لبعض معالم مصر على أنها جزء من الجنة الإسلامية. فقد قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : " أربعة جبال من الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة. قيل فما الأجبال ؟. قال : جبل أحد، يحبنا ونحبه، والطور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، و الجودي جبل من جبال الجنة، والأنهار : النيل والفرات و سيحان و جيحان ، والملاحم بدر، وأحد والخندق و خيبر"[١٧٤].

ولم يحدد المصريون موقعاً معيناً للجنة، وإن كانوا أشاروا أنها تقع فوق السماء[١٧٥]. وكما أطلق المصريون على العالم الأخر اسم "الآخرة"، وظلت حتى اليوم مستعملة في اللغة العربية، نجد أن معنى اسم الجنة عندهم هو تقريباً نفس المعني الذي ذكره القرآن، فقد أطلق المصريون على جنتهم اسم : "حقول السلام"، أما سورة الأنعام فقد جاء بها : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) [١٧٦]. وفي النصوص المصرية [القديمة] يجيء ذكر نفس الاسم " تقريباً" – بمعنى الجنة – على لسان المتوفي، حيث يقول : ".. وقد اقتربت كثيراً من مدينة السلام "[١٧٧].

كانت الجنة المصرية مقر المؤمنين، المقر الذي يعمه السلام والأمان، وهو أيضاً ما نص عليه القرآن الكريم : (إن المتقين في مقامٍ آمين. في جناتٍ وعيون) [١٧٨]. وكذلك : (فأما إن كان من المقربين. فروحٌ وريحانٌ وجنت نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلامٌ لك من أصحاب اليمين) [١٧٩].
وفي كتاب الموتى المصري ؛ نجد نفس المعني الذي جاء بالقرآن، إذ يقول النص : " لتدعه يستقر قاطناً بين القاطنين في السماء"[١٨٠]. وفي نص آخر من نفس كتاب الموتى : " قلوبهم في سلام ماداموا ينظرونك، يا من أنت الأبدية والخلود"[١٨١].

وقد وعد الله المتقين بمقعد صدق، أو كما جاء في الآية القرآنية : (إن المتقين في جناتٍ ونهر. في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر)[١٨٢].
وهو ما ينص عليه أيضاً الدين المصري [القديم] : " لقد أتيت إليك، فاجعل لي مقعداً بين هؤلاء الذين في العالم الأخر، الذين يمجدون صورك بين هؤلاء الذين يعيشون ملايين ملايين السنين"[١٨٣].

كما وعد الله المتقين أيضاً منازل عالية، ذكرها القرآن الكريم على أنها غرف : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيةٌ تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) [١٨٤].

وقد مر بنا في أسطورة (سي أوزير)، هذا الأمير الصغير، الذي قاد أباه في العالم الأخر، فدخل به مبنى به غرف. كما يوجد نص في كتاب الموتى بعنوان "الدخول إلى السبع منازل عرت"[١٨٥]. كما يقول المتوفي في نص مصري أيضاً : " ذهبت إلى غرفة مسخن المقدسة "[١٨٦]. ورأينا سابقاً كذلك أن محاكمة المتوفي أيضاً في [قاعة] غرفة الحق والعدل.

وفي الأخرة المصرية ؛ توجد كذلك غرف لتعذيب المجرمين : " هناك لا فرار من قبضتهم، عسى ألا يطعنوني بسكاكينهم، ألا أقع بلا حول في غرف تعذيبهم"[١٨٧].

وكما أن الجنة في القرآن تجري من تحتها الأنهار، فإنها أيضاً تجري في الجنة المصرية. وقد نص الحديث الشريف صراحة على أن نهر النيل واحد من أنهار الجنة. ففي حديث الإسراء، إذ كان الرسول [صلى الله عليه وسلم] في السماء الدنيا، فإذا به يرى : " نهرين يطردان، فقال : ما هذان يا جبريل ؟ قال : النيل والفرات، عنصرهما من الجنة "[١٨٨]

وقد جاء بالحديث الشريف أيضاً أن نهر النيل واحد من خمسة أنهار نبعت من الجنة، فقد ذكر (ابن عباس) أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال : أنزل الله عز وجل إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون، وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عينٍ واحدة من عيون الجنة، في أسفل درجة من درجاتها على جناحي (جبريل)، فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، وذلك قول جل ثناؤه : (وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض)"[١٨٩].

وتفيض الأنهار في حقول السلام [الجنة المصرية]، لينبت الشجر الكثير، وقد ذكرت النصوص المصرية بعضاً من أنواع هذا الشجر، فقالت إنه شجر العنب ونخيل البلح[١٩٠]. وهو ما جاء أيضاً بالقرآن : (فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ..)[١٩١].

وفي حقول السلام نجد أيضاً "شجرة التين المباركة"[١٩٢]، وكذلك "شجرة الزيتون"[١٩٣]، وهما الشجرتان اللتان ورد ذكرهما بالقرآن : (والتين والزيتون. وطور سنين)[١٩٤]. و(طور سنين) هي أيضاً أرض مصرية [مقدسة]، وقد جاء ذكر "طور سيناء" مرتبطاً أيضاً بذكر شجرة مباركة، إذ يقول عز وجل : (وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين)[١٩٥].

وفي الجنة المصرية، في شرق السماء، شجرة جميز عالية، هي شجرة الحياة يعيش عليها الأرباب، أما ثمارها فهي طعام للأبرار[١٩٦]. وتقول الآية القرآنية : (فأنشأنا لكم به جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرةٌ ومنها تأكلون)[١٩٧].

وثمار الفاكهة هي واحد من أنواع طعام عديدة وعد بها الله أهل الجنة، كما جاء في سورة الصافات : (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ. فواكه وهم مكرمون. في جنات النعيم)[١٩٨]. ويفسر (الطبري) هذه الآية فيقول : "هؤلاء وهم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم، وذلك الرزق المعلوم هذه الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة "[١٩٩]. ولم يقتصر طعام أهل الجنة على الفاكهة فقط، بل هناك أنواع أخرى، وقد جاء في سورة الواقعة : (ولحم طيرٍ مما يشتهون)[٢٠٠].

وفي الفردوس المصري يتوافر الطعام الكثير، ومنه اللحم على سبيل المثال : " سوف يمنح هبات اللحم، والدخول إلى حضرة الإله "أوزيريس"، ومستقراً أبدياً في حقول السلام"[٢٠١]. والذي يزور المعابد والمقابر المصرية يري الكثير من لحم الطير، وغيره، يقدم للمتوفي.

وكما وعد الله الأبرار بالطعام وعدهم أيضاً بالشراب، ومن شراب الأبرار في جنة المصريين اللبن : " لتسمح هناك بإعطائي أوعية اللبن "[٢٠٢]. وقد جاء بالقرآن الكريم : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارُ من لبنٍ لم يتغير طعمه..)[٢٠٣].

ويشرب الأبرار المصريون في جنتهم كؤوس الجعة. وقد جاء في سورة الصافات عن شراب أهل الجنة أيضاً : (يطاف عليهم بكأسٍ من معين. بيضاء لذةٍ للشاربين) [٢٠٤]. و(الطبري) يفسر لنا الآية السابقة فيقول : " يقول تعالى ذكره يطوف عليهم الخدم بكأسٍ من خمرٍ جارية، ظاهرة لأعينهم غير غائرة. والمعين هي الجارية، وقوله بيضاء لذةٍ للشاربين يعنى البيضاء الكأس"[٢٠٥].
وهو ما يؤكده عز وجل في سورة الواقعة أيضاً : (يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون. بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معين) [٢٠٦].

صورة من مقبرة (سنجم) بدير المدينة في (الأقصر). ١ – حيث نرى (سنجم) وزوجته في الجنّة، بينما النهر يجري في حقول السلام. وقد جاء القرآن الكريم : (ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون) [آية ٧٠ – سورة الزخرف]، وكذلك : (فأنشأنا لكم به جنات من نخيلٍ وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) [سورة المؤمنون – آية ١٩]

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله : " سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ". وقال كعب : " نهر دجلة بالجنة، ونهر الفرات لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأربعة تخرج من نهر الكوثر"[٢٠٧].

أما الإناء الذي يشرب منه أهل الجنة فهو "الكوب"، والكوب في اللغة العربية هو نوع من الأباريق، ما اتسع رأسه ولم يكن له خرطوم[٢٠٨]. وهذه هي نفس الصفات التي تنطبق تماماً على الكأس أو الكوب في النقوش المصرية، والذي ينهل منه المتوفي شراب الأخرة.

(من كان يريد حرث الأخرة نزد له في حرثه) [سورة الشورى – آية ٢٠]

وطعام أهل الجنة المصرية وكذلك شرابهم لا يصيبه التلف ولا يفسد، وهو أيضاً ما نص عليه القرآن الكريم[٢٠٩].

كان هذا عن الجنة، فماذا عن النار ؟، هل عرف الفكر الديني المصري أيضاً "نار جهنم"، مثوى أبدياً للكافرين ؟.

لا نستطيع أن نؤكد هذا، ولكننا نستطيع استعراض بعض مظاهر من العقاب الذي أعد للكافرين : إننا نعرف من خلال آيات القرآن الكريم أن الله قد أعد للكافرين أغلالاً، يقيدهم بها الملائكة والزبانية، ليقودوهم إلى النار، فنقرأ في سورة الإنسان : (إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالاً وسعيراً) [٢١٠]. ويفسر (الطبري) هذه الآية فيقول : " إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا، وخالف أمرنا، سلاسل يستوثق بها منهم "، ثم يضيف بأن هذه الأغلال تشد بها أيدي الكفار إلى أعناقهم[٢١١]. وهو ما يتجلى أيضاً في الآية الخامسة من سورة الرعد، إذ يقول

عز وجل : (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

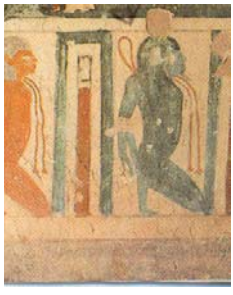

وفي الدين المصري نري أيضاً أغلالاً أعدت للمجرمين، ويوثق بها أياديهم، وكذلك أعناقهم، وهو ما يتضح جلياً في صور المقابر المصرية، ومنها على سبيل المثال مقبرتا (رمسيس السادس) و(رمسيس التاسع)، بوادي الملوك بمدينة (الأقصر).

أما الموكل إليه شد وثاق هؤلاء فهم الملائكة، أو خزان جهنم، كما يقول (الطبري) في تفسيره للآية القرآنية الثلاثين من سورة الحاقة : (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه).

وهو مشهد نراه في صورة من مقبرة (رمسيس السادس)، حيث يقوم الزبانية بتقييد المجرمين.

فها هي زبانيات "إناث" يقمن بتكبيل أربعة كفار جاثين، بينما خامسهم واقف ليتم شد أساره أيضاً.

والمنظر التالي يوضح نفس الأمر، إلا أنه هنا يتم قيد إبليس نفسه، عدو الله، الذي اتخذ شكل الثعبان. وبينما يكبل أربعة أشخاص الشيطان نري يداً مجهولة تساعدهم :

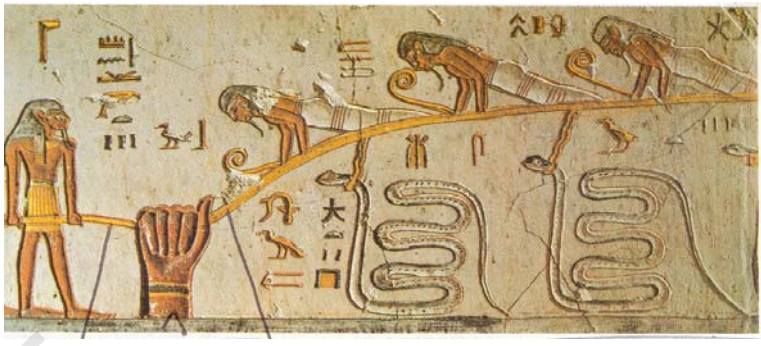

وبعد أن يقوم الزبانية بوضع الكافرين في الأغلال، يسوقونهم إلى مصيرهم المحتوم، وهو : جهنم، وهنا سوف : (يعلم الذين ظلموا أي منقلب) ينقلبون) كما توضح الآية رقم ٢٧٧ من سورة الشعراء.

نقش من مقبرة (رمسيس السادس) بوادي الملوك.

وفي مقبرة (رمسيس السادس) أيضاً نري الزبانية وقد أمسكوا بأعداء الله، وهم منقلبون رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى أعلى. ووضع أعداء الله على هذا النحو مشهد يتكرر مرات عديدة في المقابر المصرية، ومنها المشهد التالي من مقبرة (رمسيس التاسع).

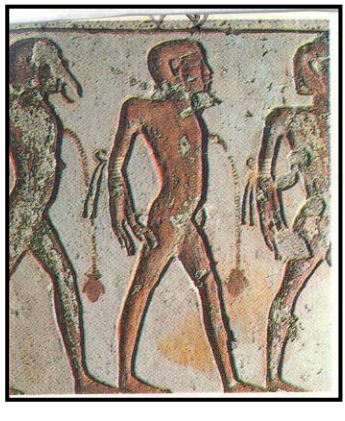

obeikandl.com

وفي سورة القارعة يقول الله عز وجل : (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية)، والأم هي الرأس التي تهوي في النار، كما جاء في نفس السورة : (وما أدراك ماهية. نارٌ حامية) [٢١٢]. هي النار مصير الكافرين، كما يتأكد المعنى في الآية التالية : (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة. عليهم نارٌ مؤصدة) [٢١٣]. وهي نارٌ مؤصدة في عمدٍ ممددة، كما جاء في سورة الهمزة، ومثل هذه النار نراها في حجرة الدفن بمقبرة (سيتي الأول)، وهي تمثل الساعة الثالثة من كتاب البوابات، وقد مثلت النار هنا على هيئة أمواج حمراء.

والصورة التالية من نفس المقبرة تظهر النار على هيئة فخين أعدا للمذنبين.

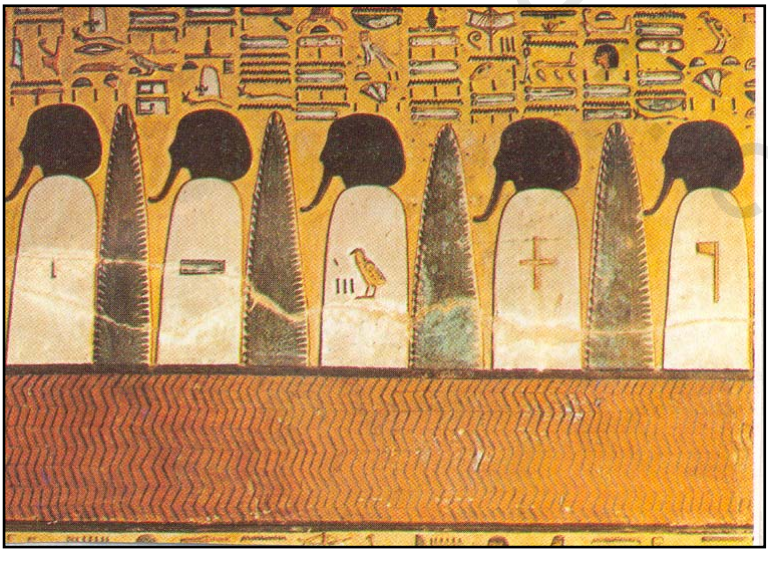

obeikandl.com

(نـار الله الموقـدة. التـي تطلـع علـى الأفئـدة. إنهـا علـيهم مؤصدة في عمـدٍ ممـددة) [سـورة الهمزة ٦ - ٩].

وفي مشهد آخر يمثل هذه النار، نرى المذنبين وقد ألقوا بعضهم فوق بعض في هذه النار، وقد وقف عليهم زبانية يحرسونها :

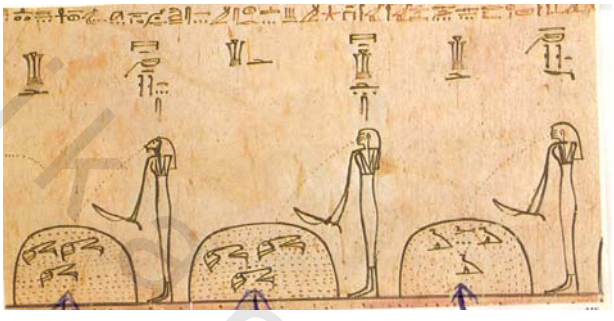

وفي سورة الشعراء نقرأ : (فكبكبوا فيها هم والغاوون) [٢١٤]. "ومعناها أن هؤلاء يتم طرحهم في جهنم فوق بعض"[٢١٥]. ونرى في نفس الصورة السابقة أن الكافرين قد طُرحوا في النار ووجوههم إلى أسفل، وبينما تقول الآية رقم ٩٠ من سورة النمل : (فكبت وجوههم في النار)، تنص الآية الثامنة والأربعون من سورة القمر على أن هؤلاء المجرمين سوف يسحبون في الجحيم على وجوههم : (يوم يسحبون في النار على وجوههم).

وهو مشهد نراه في مقبرة (أمنحتب الثاني) بوادي الملوك بـ(الأقصر)، إذ نرى أحد الزبانية وقد كبل المجرمين وسحبهم، بينما وجوههم إلى أسفل :

بالرغم مما تقدم فإننا لا نستطيع أن نزعم أن المصريين [القدامى] قد عرفوا "جهنم" بنفس مفهومها الإسلامي، ولكننا نستطيع أن نؤكد أنه كان لدى المصريين "نار" العالم الأخر، يلقى فيها بالمذنبين والكافرين.

ولكن المدهش في الأمر أن كتاب "إم دوات" المصري قد ربط بين نار جهنم وبين لفظ "سقر"، ونحن هنا لا نعني اللفظ العربي، فسقر الواردة في القرآن لفظ عجمي غير عربي[٢١٦]. وإنما نعني اللفظ المصري ذاته، فسقر كلمة مصرية صميمة. وكان يطلق على رب مصري [قديم]، هو رب الموتى "سقر". وقد عُبد "سقر" في مدينة (منف)، وصار رب جبانتها المعروفة إلى اليوم باسم (سقارة).

ويذكر الرب "سقر" في الساعة الخامسة من كتاب "إم داوت" أي "العالم الأخر"، وقد صور في هذه الساعة على هيئته – التي عُرف بها – وهي شكل الصقر، وهو الطائر المعروف الذي يكتب اسمه – بالعربية – "صقر" أو "سقر"[٢١٧].

ويصور كتاب "إم داوت" قاع هذه الساعة بأنها بحر من النار الحارقة، ومن شدة حرارتها لا تستطيع حتى الأرباب الاقتراب منها[٢١٨].

وهكذا نستطيع أن نقول أن هذه الكلمة المصرية "سقر" جمعت بين رب الموتى والعالم الأخر والنار. وقد ذُكرت "سقر" في القرآن عدة مرات، ارتبطت كلها بالأخرة وجهنم. ولشدة أوار "سقر" وسعيرها ؛ نجد القرآن يتوعد بها الكافرين، إذ يقول الله عز وجل في سورة المدثر : (سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحة للبشر. عليها تسعة عشر). والتسعة عشر هنا هم تسعة عشر حارساً على هذه النار. والمثير للدهشة أن منطقة "سقر" في كتاب "إم داوت" يحرسها تسعة عشر حرساً، ما زالت ترى نقشاً بديعاً على جدران مقبرتي (تحتمس الثالث) و(أمنحتب الثاني)، بوادي الملوك بمدينة (الأقصر).

ولنا أن نعجب ما شئنا، ولنا أيضاً أن نعود إلى سورة المدثر، وآياتها التي جعلها الله ذكرى للبشر : (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب

الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر)[٢١٩].

صدق الله العظيم.

obeikandl.com

الهوامش

١ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (١).
٢ - سورة فصلت آيات (٩ - ١٢).
٣ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (٢).
٤ - سورة الأنبياء آية (٣٠)
٥ - آلهة المصريين والاس بدج
٦ - أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
٧ – هيرودوت يتحدث عن مصر ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٨ - سورة القلم آية (١).
٩ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
١٠ - آلهة المصريين والاس بدج
١١ - المرجع السابق
١٢- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
١٣ - آلهة المصريين والاس بدج
١٤ - معجم الحضارة المصرية مجموعة من الباحثين
١٥ - سفر التكوين الإصحاح (١) آية (٣ - ١٣).
١٦ - سورة النازعات آيات (٢٧ - ٣٣).
١٧ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
١٨ - سورة الأنبياء آية (٣٠).
١٩ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٢٠ - سورة الرحمن آية (٧).
٢١ - سورة الحج آية (٦٥).
٢٢ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٢٣ – هيرودوت يتحدث عن مصر ترجمة د.محمد صقر خفاجة
٢٤- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم د.كارم محمود عزيز.
٢٥ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٢٦ – المرجع السابق
٢٧ – سورة التكوير آية (١٥) و(١٦).
٢٨ – تفسير الطبري
٢٩ – سورة فصلت آية (١٢)
٣٠ – سورة الواقعة آية (٧٥) و(٧٦)
٣١ – سورة يونس آية (٥)
٣٢ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
٣٣ – المرجع السابق
٣٤ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس

obeikandi.com

٣٥ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
٣٦ – جريدة الأهرام – ٨ سبتمبر ٢٠٠١ د. مينا بديع عبدالملك
٣٧ – المرجع السابق
٣٨ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٣٩ – المرجع السابق
٤٠ – سورة النجم آيات (٤٧ و٤٩)
٤١ – تفسير الطبري
٤٢ – سورة نوح آية (١٥) و(١٦)
٤٣ - آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
٤٤ – المرجع السابق
٤٥ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٤٦ – المرجع السابق
٤٧ – المرجع السابق
٤٨ – المرجع السابق
٤٩ – المرجع السابق
٥٠ – الأدب المصري القديم كلير لالويت
٥١ – المرجع السابق
٥٢ – المرجع السابق
٥٣ – سورة السجدة آية (٧)
٥٤ – سورة المؤمنون آية (١٢)
٥٥ – سورة الأنعام آية (٢)
٥٦ – سورة الرحمن آية (١٤)
٥٧ – تفسير الطبري
٥٨ – المرجع السابق
٥٩ – سورة فاطر آية (١)
٦٠ - آلهة المصريين والاس بدج
٦١ - الحياة اليومية للآلهة الفرعونية ديمتري ميكس وكريستين فافارميكس
٦٢ – سورة العنكبوت آية (٥٧)
٦٣ – سورة الرحمن آية (٢٦)
٦٤ – سورة الجمعة آية (٨)
٦٥ – سورة الجاثية آية (٢٦)
٦٦ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
٦٧ – المرجع السابق
٦٨ – المرجع السابق
٦٩ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان

obeikandi.com

70 – المرجع السابق
٧١ – المرجع السابق
٧٢ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٧٣ – المرجع السابق
٧٤ – المرجع السابق
٧٥ – المرجع السابق
٧٦ – المرجع السابق
٧٧ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
٧٨ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
٧٩ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٨٠ – المرجع السابق
٨١ – المرجع السابق
٨٢ – الخلود في التراث الثقافي د.سيد عويس
٨٣ – سورة البقرة آية (٦٢)
٨٤ – سورة المائدة آية (٦٩)
٨٥ – سورة الزمر آية (٤٥)
٨٦ – سورة يوسف آية (٣٧)
٨٧ – سورة البقرة آية (٤)
٨٨ – تفسير الطبري
٨٩ – المرجع السابق
٩٠ – كتاب الموتى
٩١ – الديانة المصرية القديم ياروسلاف تشرني
٩٢ – المرجع السابق
٩٣ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٩٤ – سورة يس آية (٣٣)
٩٥ – سورة فاطر آية (٩)
٩٦ – سورة الروم آية (١٩)
٩٧ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
٩٨ – معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة مانفرد لوكر
٩٩ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٠٠ – معجم الحضارة المصرية القديمة مجموعة من الباحثين
١٠١ – كتاب الموتى
١٠٢ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٠٣ – الديانة المصرية القديمة ياروسلاف تشرني
١٠٤ - آلهة المصريين والاس بدج
١٠٥ – المرجع السابق

obeikandl.com

١٠٦ – المرجع السابق
١٠٧ – وادي الملوك إريك هورنونج
١٠٨ – المرجع السابق
١٠٩– المرجع السابق
١١٠– المرجع السابق
١١١– المرجع السابق
١١٢– المرجع السابق
١١٣- آلهة المصريين والاس بدج
١١٤– المرجع السابق
١١٥– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١١٦– سورة الصافات آية (٢٢) و(٢٣)
١١٧– كتاب الموتى
١١٨ المرجع السابق
١١٩– المرجع السابق
١٢٠– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٢١– المرجع السابق
١٢٢– سورة الحجر آية (١٤)
١٢٣– سورة النبأ آية (١٩)
١٢٤– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٢٥– سورة الأعراف آية (٤٠)
١٢٦– كتاب الموتى
١٢٧– المرجع السابق
١٢٨ سورة الزمر آية (٧٣)
١٢٩– كتاب الموتى
١٣٠– سورة الزمر آية (٧١) و(٧٢)
١٣١– كتاب الموتى
١٣٢- آلهة المصريين والاس بدج
١٣٣- كتاب الموتى
١٣٤– المرجع السابق
١٣٥- المرجع السابق
١٣٦- سورة الأنبياء آية (٤٧)
١٣٧ تفسير الطبري
١٣٨– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٣٩- تفسير الطبرى
١٤٠– التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي

obeikandl.com

١٤١ ـ المرجع السابق
١٤٢ـ سورة الأعراف آية (٨)
١٤٣ـ سورة المؤمنون آية (١٠٣)
١٤٤ـ سورة القارعة آيات (٦ ـ ٩)
١٤٥ـ سورة الزلزلة آية (٧) و(٨)
١٤٦ـ سورة الأنبياء آية (٤٧)
١٤٧ ـ سورة الأعراف آية (٨)
١٤٨ـ كتاب الموتى
١٤٩ـ الطب المصري القديم حسن كمال
١٥٠ – المرجع السابق
١٥١ـ سورة محمد آية (٢٤)
١٥٢ ـ سورة الروم آية (٥٩)
١٥٣ ـ سورة الحج آية (٤٦)
١٥٤ ـ سورة الملك آية (١٣)
١٥٥ ـ سورة فاطر آية (٣٨)
١٥٦ ـ سورة العنكبوت آية (١٠)
١٥٧ ـ سورة غافر آية (١٩)
١٥٨ ـ سورة التغابن آية (١١)
١٥٩ ـ سورة الشورى آية (٢٤)
١٦٠ ـ سورة (ق) آية (٣٧)
١٦١ ـ سورة (ق) آية (٣٣)
١٦٢ ـ سورة الشعراء آية (٨٩)
١٦٣ ـ كتاب الموتى
١٦٤ ـ المرجع السابق
١٦٥ ـ المرجع السابق
١٦٦ ـ المرجع السابق
١٦٧ ـ تفسير الطبرى
١٦٨ ـ سورة (ق) آية (١٧)
١٦٩ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٧٠ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٧١ ـ المرجع السابق
١٧٢ ـ سفر التكوين اصحاح (١٣) آية (١١)
١٧٣ ـ فضائل مصر ابن زولاق
١٧٤ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٧٥ ـ آلهة المصريين والاس بدج

obeikandi.com

١٧٦ ـ سورة الأنعام آية (١٢٧)
١٧٧ ـ كتاب الموتى
١٧٨ ـ سورة الدخان آية (٥١) و(٥٢)
١٧٩ ـ سورة الواقعة آيات (٨٨ – ٩١)
١٨٠ ـ كتاب الموتى
١٨١ ـ المرجع السابق
١٨٢ ـ سورة القمر آية (٥٤) و(٥٥)
١٨٣ ـ كتاب الموتى
١٨٤ ـ سورة الزمر آية (٢٠)
١٨٥ ـ كتاب الموتى
١٨٦ ـ المرجع السابق
١٨٧ ـ المرجع السابق
١٨٨ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
١٨٩ ـ المرجع السابق
١٩٠ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١٩١ ـ سورة المؤمنون آية (١٩)
١٩٢ ـ آلهة المصريين والاس بدج
١٩٣ ـ المرجع السابق
١٩٤ ـ سورة التين آية (١) و(٢)
١٩٥ ـ سورة المؤمنون آية (٢٠)
١٩٦ – الديانة المصرية القديمة أدولف إرمان
١٩٧ ـ سورة المؤمنون آية (١٩)
١٩٨ ـ سورة الصافات آيات (٤١) و (٤٢) و (٤٣)
١٩٩ ـ تفسير الطبري
٢٠٠ ـ سورة الواقعة آية (٢١)
٢٠١ ـ كتاب الموتى
٢٠٢ ـ المرجع السابق
٢٠٣ ـ سورة محمد آية (١٥)
٢٠٤ ـ سورة الصافات الآية (٤٥) و(٤٦)
٢٠٥ ـ تفسير الطبري
٢٠٦ ـ سورة الواقعة الآية (١٧) و(١٨)
٢٠٧ – التذكرة في أمور الموتى وأحوال الأخرة القرطبي
٢٠٨ ـ تفسير الطبري
٢٠٩ ـ سورة محمد آية (١٥)
٢١٠ ـ سورة الإنسان آية (٤)

obeikandl.com

٢١١ ـ تفسير الطبري
٢١٢ ـ سورة القارعة آية (١٠ – ١١)
٢١٣ ـ سورة البلد آية (١٩) و(٢٠)
٢١٤ ـ سورة الشعراء آية (٩٤)
٢١٥ ـ تفسير الطبري
٢١٦ ـ آلهة مصر العربية علي فهمي خشيم
٢١٧ ـ المرجع السابق
٢١٨ – وادي الملوك إريك هورنونج
٢١٩ ـ سورة المدثر

obeikandl.com